

# دومينيك قالبيل الناس والحياة في مصر القديمة

ترجمة ماهر جويجاتي  
مراجعة د. زكية طبوزادة





الناس والحياة  
في  
مصر القديمة

الطبعة الثانية  
القاهرة ٢٠٠١  
جميع الحقوق محفوظة



القاهرة : ٤٠ ش هشام لبيب مدينة نصر - المنطقة  
الثامنة

أسسها

الدكتور طاهر عبد الحكيم ١٩٨٤

تليفون : ٢٨٧٥٠٧٤

صدر هذا الكتاب بالتعاون مع البعثة  
الفرنسية للأبحاث والتعاون بالقاهرة

كتاب الكافر ١٤

دومينيك فالويل

الناس والحياة  
في  
مصر القديمة

مراجعة  
د. زكية طبوزادة

ترجمة  
ماهر جويجاتي



هذه ترجمة لكتاب :

LA VIE  
DANS  
L'EGYPTE ANCIENNE

" Dominique Valbelle "

ISBN 215 041730 2

Dépôt légal — 1<sup>re</sup> édition : 1986, juin

© Presses Universitaires de France, 1986  
105, boulevard Saint-Germain, 75006 Paris

## المقدمة

تشهد آثار مصر الفرعونية على الأهمية التي أولاها إنسان ذلك العصر للحياة الآخرة التي طغت على الحياة الدنيا . فقد حافظ لنا الزمن على مقابر الملوك وعلية القوم التي شيدها المصريون ، في معظمها ، بالحجر أو نقرها في الصخر ، بينما اقتصر استخدام الطوب اللبن ، تقريباً ، على تشييد القصور والدور الفخمة أو البيوت المتواضعة سواء بسواء . ويلاحظ أن الفضل في الاحتفاظ بفكر المصريين القدماء وعاداتهم اليومية واحتياجاتهم يرجع غالباً ، إلى هذه المعتقدات .

وفي الواقع ، ربما كان من الممكن التنقيب في بعض المدن أو القرى القديمة ، أو إلقاء نظرة على سجلات المحفوظات التي وصلت إلينا ، أو مطالعة القصص والحكم التي احتفظ لنا بها الزمن ، ولكن من المؤكد والثابت أن الإضافة الحقيقية والأساسية لا تتوفر إلا من خلال النصوص والصور المنقوشة أو المرسومة على جدران هذه المقابر ، أو ما سلم من محتوياتها من أعمال النهب والسلب ، وتبعاً للعصر وإمكاناته الشخصية ووظيفته كان المصري يختار بعناية ، ما يود تسجيله على جدران الدار التي ستصبح بعد وفاته ، داراً للأهليه ، فيصور أهم أحداث حياته ، والمقربين إليه من أفراد أسرته ، والعاملين معه ، وأعز ما يمتلك . كما كان المصري القديم يروي أهم أحداث حياته ، ويسترجع ذكرياته المهنيه ، ويسجل ما قد يكون له من علاقات بفرعون أو بأحد الأعيان . كما احتوى المتاع الذي يرافق جنازة المتوفى إلى جانب البياضات ، على الأثاث والأدوات والأطعمه . ومنذ نهاية الدولة القديمة وحتى بداية الدولة الحديثة ، أضيفت إلى هذه الإيضاحات التصويرية التي تغطي الجدران نماذج مصغرة من المباني والأنشطة الحرفية والزراعية . ولئن كان علم الآثار عادة ما يقدم لنا مكتشفاته بطريقة جامدة تحتاج إلى تفسير ، فإن تنوع هذه الوثائق يفيض بالحياة والنضارة . ولكن هذه الصور لا

تعمس كل الحقيقة ، ومن ثم فإنه لا ينبغي أن نأخذها على علاتها ، بل علينا أن نفهمها في إطارها الحقيقي . فمشاهد الأنشطة والصور التي تمثل الممتلكات المختلفة ، إنما هي تجسيد لقوالب ثابتة ، مع استثناء الصور التوضيحية للأناشيد الجنائزية التي تعين المتوفى في حياته في العالم الأسفل . كما أن السير الذاتية ، كثيراً ما لا تتركز إلى معلومات حقيقية ، إلى جانب ما تزخر به من مباحة وفخر يتكرر دون ملل أو كلل . ومن ناحية أخرى كانت الورش المتخصصة تتولى صناعة الأثاث الجنائزي الذي لم يكن بالضرورة مطابقاً للأثاث الذي يستخدمه الإنسان في حياته العادية . غير أن بعض الإشارات تلمت أحياناً من بين ثنايا نسيج التقاليد المصرية المتين ، فتفضى إلينا بمعلومات جديدة : فالقراء مثلاً يدفنون بشبابهم القديمة ، إلى جانبهم أئامهم القديم . وقد حدث في نهاية الدولة القديمة وفي الفترة الإنتقالية الأولى ، تزايد نفوذ بعض حكام الأقاليم ، فأطنبوا في أحاديثهم ، وحفلت رواياتهم بالقصص التي تدور حول اضطراب الأحوال ، وبالحكم التي استخلصوها من تقلبات الزمن . ومع حلول الأسرة الثامنة عشرة ، وخلال أزمة العمارنة ، تجددت موضوعات التصوير الفني ، وانجذبت إلى نقل الطبيعة بأسلوب أقرب إلى واقع الحياة اليومية .

ومع كل ما في هذه المشاهد من جاذبية ، إلا أنها تعكس مديحاً وإطراءً للمصرى وبيشته يتفقان والإنطباع الذي يود أن يتركه وراءه بعد وفاته . صحيح أنه لم يدر بخلد المصريين القدماء أن يمتعوا ملايين السياح الذين يزورون مقابرهم كل عام بهذه المشاهد . كما أن أعمال سلب ونهب المقابر كانت من الأمور الشائعة منذ القدم ، هذا بالإضافة إلى إعادة استخدامها لدفنات جديدة . ورغم ذلك فقد ظل أمل كل مصرى قوياً ، لا يتزعزع ، في أن جثمانه سيظل بعيداً عن أية إنتهاكات وأنه لن يتعرض للأذى في رقاد الأخير ، وأن اسمه سيظل



محل تكريم من كل عابر سبيل ، ولذلك توجه بنشاطات في هذا الاتجاه سجلها في المقصورات التي يتراقد عليها الأحياء لوضع القرايين من أجل موتاهم . وكانت هذه المشاهد محصلة موجزة لثراث الدنيا بمادياتها ، ومعنوياتها ، وبذلك لم يكن المتوفى يتقصده شيء ، فالوفاة في نظر المصريين ، مجرد إنتقال من حياة إلى أخرى ، ليس بينهما إختلاف واضح .

ومن ثم فإنه سيكون أكثر مدعاة للإطمئنان من الناحية العلمية أن نعتد في بحث الحياة اليومية لقدماء المصريين على الآثار الحقيقية لوجودهم . ولكن هل يمكن الوقوف على مجمل حياة إنسان بالاستناد إلى بعض واجهات جدارية أو نقايات حصلنا عليها من أماكن تجميع المخلفات . أما إذا أسعفنا الحظ فلن يزيد ما يمكن أن نجمله عن أجزاء بسيطة لسجلات إدارية . لقد مرَّ ما يزيد عن عشر سنوات ، منذ أخذت حفائر الأثريين تتركز في مدن وادي النيل وتفضى إلى نتائج ملموسة ، فتوصلنا إلى تحديد الإطار البيئى الذى عاش فيه قدماء المصريين ، والنظام الغذائى الذى اعتمدوا عليه بمساعدة العديد من العلوم الثانوية . وانكب العلماء على دراسة ما حفظه لنا الدهر من مدونات رسمية ، وملفات إدارات المحفوظات ، وعقدوا بينها المقارنات ، فطوروا معارفنا حول البناء الاقتصادى والاجتماعى لمصر في العصور المختلفة ، ومن ثم توصلوا إلى سد الفراغ الناشء عن قلة الوثائق . وعلى هذا فإنه لا بد من التواضع ، وتجنب تحميل المعلومات المتاحة بأكثر من معناها الحقيقى حتى يكون من الممكن القيام بأجل ببحث من أكثر الأبحاث صعوبة ، ولكنه يتعلق بأكثر فترات التاريخ إثارة ، ألا وهو استرجاع حياة شعب من أقدم شعوب العالم المتحضر ، ليروى لنا قصته على امتداد ألفى سنة بدءاً من الدولة القديمة ( حوالى عام ٢٧٠٠ ق . م ) وحتى نهاية الدولة الحديثة ( ١٠٨٨ ق . م ) . حقاً ، إنه ليبحث من أشق الأبحاث التي

يطرحها التاريخ وأكثرها إثارة أيضاً .

ومن نافذة القول ، أنه رغم ما عرف من تأصيل نزعة الحفاظ على التقاليد الموروثة في نفوس سكان وادى النيل ، فإنه يصعب علينا استبعاد أى اتجاه نحو " التطور " . ويرجع هذا التطور إلى التقلبات التى تؤثر على التوازن الصعب بين سلطة الملك وسلطة حكام الأقاليم من جهة ، وإلى طبيعة ومآل ميزان القوى بين مصر وجيرانها من جهة أخرى . لقد ترتب على هذا " التطور " تغيرات طفيفة ، أو عنيفة أحياناً ، فى عادات المصريين وأفكارهم على المدى البعيد . ومن هنا تبرز أهمية الرجوع إلى التاريخ الزمنى باستمرار وعلى الدوام .

\*  
\* \*

نجحت الأسرتان الأولى والثانية ، فى إقامة سلطة موحدة فى أرجاء البلاد ، وبادرت إلى اتخاذ قرارات سياسية واقتصادية حاسمة ، وأنشأت مؤسسات صارت من القوة بحيث استمر تأثيرها على امتداد تاريخ مصر وحتى دخول الإسكندر .

فى حوالى ٤٥٠٠ ق . م جرت فى مصر عملية مشابهة لما حدث فى بلاد النهرين . إذ تجمع سكان الدلتا ووادى النيل فى قرى كبيرة . وتشير المخلفات التى تركتها هذه القرى إلى وجود إرهاصات تنظيم اجتماعى على أساس تقسيم العمل ووجود نشاط حرفى ، تصدرته صناعة الفخار . وخلال الألف الرابع ظهرت عدة حضارات على أرض مصر كانت بعضها على اتصال بالشرق الأدنى ، وأظهرت بعضها براعة فائقة فى مختلف الصناعات ، لا سيما الأدوات المصنوعة من الحجر الصلب ومن العاج ، وصناعة الأواني ، والصلايات ، والتماثيل الصغيرة ، ومقابض

السكاكين . وتوحى نوعية بعض هذه الصناعات من جهة ، وأسلوب  
سقل بعض الأدوات الظرائية من جهة أخرى ، إلى وجود نوع من  
التخصص فى العمل . ويمكن اعتبار التقدم الملحوظ فى صناعة الفخار  
دليلاً على ذلك . ومن ثم فإن توزيع الأعباء داخل الجماعات الريفية كان  
يفرض نفسه فرضاً . نشأ هذا الوضع الجديد حوالى عام ٣٠٠٠ ق . م ،  
وتواكب مع توحيد الدلتا وراوى النيل تحت قيادة موحدة ، وإن كانت  
هذه الوحدة تمت على حساب الدلتا .

واتخذ الملك فى هذا العصر الميكر عدة إجراءات استهدفت تدعيم  
المركزية فى إدارة المملكة الجديدة . ومن هذه الإجراءات تنظيم الرى ،  
وخطب التجارى المائية ، وعمل حصر للماشية والأراضى الزراعية والذهب  
المستخرج من المناجم ، وتعداد أسرى الحرب ، وربما السكان المحليين  
أيضاً . كما أسس أولى المراكز الحضرية حيث تجمع القرويون بعد أن  
هجروا الريف ، وكانت أرض مصر ملكاً لفرعون ، وسكانها يعملون فى  
خدمته . وتأسس جهاز إدارى مستقر يعتمد على تسلسل وظيفى صارم  
ودقيق . وبقيت لنا بعض الألقاب التى تشير إلى وظائف أصحابها . ومع  
تزايد النصوص - التى أبقى عليها الزمن - مع مطلع الأسرة الثالثة  
والأسرة الرابعة على وجد التحديد ، أصبح فى الإمكان تصور بنية  
المؤسسات ، والسمات الرئيسية لنشأة المجتمع المصرى وبداياته . ومع قيام  
الأسرة الخامسة ، نلمس بعض التغييرات الهامة التى أدخلت على النظام  
الملكى ذاته فى علاقاته مع الأجهزة الإدارية بالأقاليم . ومن الآن  
فصاعداً ، سيشتميز تاريخ مصر بالسعى وراء حل وسط ، يجمع فى  
إنسجام ، بين حكومة مركزية بالضرورة ، وبين النزعة الملحسة إلى  
تدعيم سلطة الأقاليم .



## الفصل الأول

---

الطبقات الاجتماعية والأوساط الاجتماعية المهنية

---



ترتكز الأبحاث الديموجرافية القليلة عن مصر الفرعونية ، في أساسها ، على تقديرات المحاصيل الزراعية ، فيمكننا انشراض عدد تقريبي للسكان ، الأمر الذي يترك باب الاجتهاد مفتوحاً للخوض في دراسة منهجية تعتمد على الأرقام التي تتيحها لنا النصوص المصرية القديمة ذاتها .

### جدول عدد سكان مصر الافتراضى

( استناداً إلى تقديرات المحاصيل الزراعية ) نقلأ عن K. W. Butzer , Early Hydraulic Civilization in Egypt , Chicago , 1976 , P. 83 .

الجدول رقم ( ٤ )

الدولة الحديثة	الدولة الوسطى	الدولة القديمة	المصر الشينى (*)	المنطقة
١ ٦٢٠ ٠٠٠	١ ١٢٠ ٠٠٠	١ ٠٤٠ ٠٠٠	٦٠٠ ٠٠٠	وادي النيل
٧٢ ٠٠٠	٦١ ٠٠٠	٩ ٠٠٠	٦ ٠٠٠	الفيوم
١١٧٠ ٠٠٠	٧٥٠ ٠٠٠	٥٤٠ ٠٠٠	٢١٠ ٠٠٠	الدلتا
٢٥ ٠٠٠	٢٥ ٠٠٠	٢٥ ٠٠٠	٥٠ ٠٠٠	الصحارى
٢٨٨٧ ٠٠٠	١٩٦٦ ٠٠٠	١٦٦٤ ٠٠٠	٨٦٦ ٠٠٠	الجملة

(\*) اعتاد المؤرخون المحدثون أن يطلقوا على عصر الأسرة الأولى والثانية أسماء عدة منها " العصر العتيق " إشارة إلى قدمه ، ومنها " العصر الشينى " نسبة إلى =

ومن الصعب مقارنة الأعداد الإقراضية التي نقلناها هنا ، بالأرقام المستمدة من النصوص المصرية القديمة التي تعنى بفئات محددة من السكان فحسب ، فهي عبارة عن حصر لأسرى الحرب ، أو العمال ، أو الفرق التي يجرى تجنيدها لعمليات عسكرية محدودة ، أو أفراد البعثات التي يتم تجهيزها لإرسالها إلى المناجم والمحاجر الواقعة في الصحارى المحيطة بالوادي . إن سجلات التعداد التي لا تزال باقية نادرة وقليلة ، كما أنها ناقصة ومتعلقة بفئة محدودة من السكان . وتقدم لنا هذه الوثائق صورة لنظم إدارية شديدة التعقيد ، منشقة من هيئة مركزية قابضة ، وطيدة الأركان ، لم تترك وراءها سوى آثار غير مباشرة من خلال الأجهزة الإدارية المحلية التي خلفت أحياناً شواهد دقيقة . والمثال الواضح لذلك ، مؤسسة عمال الجبانة\* بالبر الغربي لمدينة طيبة في عصر الرعامسة . ويفضل تضافر المعلومات التي عشر عليها بالسجلات مع البقايا الأثرية . أمكن التوصل إلى حقائق قيمة حول قرية العمال التي كانت في خدمة فرعون . وهي تتكون من أربعين إلى ستين أسرة ، وكل أسرة يتراوح عدد أفرادها بين فردين وستة أفراد ، تعيش في مسكن مساحته ما يقرب من سبعين متراً مربعاً . كما وصلتنا معلومات أخرى متناثرة تخص جماعات وعصور مختلفة ، ولكنها لا تشكل أية إضافة حقيقية لكونها معلومات جزئية ومتفرقة .

---

\* " ثنى " بالقرب من إيدوس والتي ينتسب إليها مؤسس الأسرة الأولى تبعاً لما ذكره مانيتون . ومن الأسماء التي أطلقت أيضاً على هذه الفترة الزمانية : " بداية المصور التاريخية " ، و " بداية الأسرات " ، و " العصر المبكر " ، وأيضاً " عصر التأسيس والبناء " . المراجع .

\* هي دير المدينة بالبر الغربي للأقصر . والمعروفة بإسم ( مكان الحق ) وبها بقايا قرية للعسال إلى جانب مقابرهم ( المرجع ) .



## ١ - الغنائم البشوية والطبقات الاجتماعية

كتب هيرودوت ، في القرن الخامس قبل الميلاد ، في الجزء الثاني من كتابه " تمحيص الأخبار " ، الفصل ١٦٤ - يقول : " وتوجد سبع طبقات من المصريين تسمى : طبقة الكهنة ، وطبقة المحاربين ، ورعاة البقر ورعاة الخنازير والتجار والترحلون والملاحون . ذلك هو عدد طبقات المصريين وأسماؤها ناشئة من حرفها " ( ترجمة د. صقر خفاجة . الهيئة المصرية للكتاب ) . وهذا الوصف الذي يقدمه المؤرخ الأغرقي عن النظام الإقطاعي السائد أبان القرن السادس قبل الميلاد يؤكد وجود هذه الطبقات الاجتماعية التي ترجع أصولها إلى أقدم العصور . ومع ذلك فإن التعرف على هذه الطبقات يبحث على الحيرة ، ولا يتفق مع الأوضاع الاجتماعية في العصور القديمة .

ترجع قائمة " الأونوماستيكون " ، إلى القرن الثالث عشر\* . ( عصر الرعامسة ) وهي من تصنيف أمنموي . وهذه القائمة ، أشبه ماتكون بمذكرة موسوعية . فبعد أن تستعرض العناصر والكيانات الربانية ، تذكر الملك ، والمقرين إليه ، ورجال البلاط ، وكبار الرسميين ومعاونيهم ، ثم تنتقل إلى أسماء الكهنة ، والعمال ، والحرفيين وأصحاب المهن المختلفة . ثم تحدد أعظم الطبقات الاجتماعية وأشهر الشعوب ، وكبرى الجماعات البشرية . ولكن لا يوجد هناك رابط واضح بين هذه العناصر ، إذ ترد الألقاب الدينية جنبا إلى جنب مع الوظائف الإدارية في حين تختلط أسماء الوظائف العسكرية بمجموعات المسئولين الاقتصاديين .

---

\* في الأصل الأسرة الثالثة عشرة ( المراجع ) .

ومع ذلك ، نكتشف في هذه القائمة الطويلة بعض الحقائق التي  
تأكدت صحتها بعد مقارنتها بغيرها من نصوص موجزة . فنجد أن عامل  
البلاد الذي اصطلحت الآلهة ليتحدثوا إليه ، يبرز باعتباره الشخصية  
الأولى في البلاد ، فيجمع بين يديه مطلق السلطات ، ويتحتم بكافة  
الامتيازات ، وفي الوقت نفسه يضطلع بمجاه بلده ومجاه رعاياه بمواجبات  
تنقل كاهله . ومع مرور الزمن ، فإن الملك يقتسم سلطاته وامتيازاته  
ومسئوليته مع كبار موظفيه المدنيين والدينيين والعسكريين الذين دأب  
على اختيارهم من بين أفراد أسرته . وكان هذا النمط من الحكومات  
الأتوقراطية يظهر مع كل حركة إصلاح كبرى في أعقاب عصور  
الإضطرابات الداخلية أو الغزوات الخارجية . وعندما يعم الرخاء وتظهر  
وظائف جديدة من ناحية ، ويتضح عدم فاعلية السلطة الشرعية من  
ناحية أخرى ، يتحول النظام الأتوقراطي تحولاً جوهرياً ليصبح نظاماً  
شبيهاً بالنمط الإقطاعي ، فتتعاظم اختصاصات حكام الأقاليم وتتسع  
على حساب السلطة المركزية . وقد تفتح مثل هذه الأوضاع الطريق أمام  
عين من أعيان الريف ، أو أحد العسكريين ، أو أحد الكهنة ،  
ليستولى على السلطة ويترفع على عرش البلاد ، فيعوض بفاعليته  
وحزمه وهن الدولة وضعفها . إن الحقائق السابقة تلقي الضوء على  
الأسباب التي جعلت قائمة أعلام أمنموي تصنف أسماء كبار رجال الدولة  
مباشرة في أعقاب أفراد الأسرة المالكة ، وربما كانت شخصية مصنف قائمة  
أعلام الأنوماستيكون وراء إفساح الجزء الأكبر من القائمة أمام الجهاز  
الإداري ، فجمعت بين كبار المراتب الوظيفية وأقلها شأنًا سواء بسواء .  
ومن المعروف أن أمنموي عمل في وظيفة كاتب ينسخ الكتب المقدسة  
في " دار الحياة " \* . بيد أن تركيز الأنوماستيكون على الجهاز الإداري

\* مؤسسة ثقافية تلحق بالمعبد المصري ، وهي متعددة الأغراض ، وبها مكاتب لنسخ النصوص  
الدينية اللازمة لممارسة الشعائر ، وكان لها صفة وثيقة بالطب والسحر . ( المترجم )

لا يتعارض مع الشواهد المتعددة التي تشير إلى تواجد هذا الجهاز في طول البلاد وعرضها وأنه ظل راسخاً مستقراً في أحلك الظروف وأكثرها إضطراباً ، أما الكهنة ، فقد جاء ترتيبهم في قائمة الأعلام قبل العمال والحرفيين .

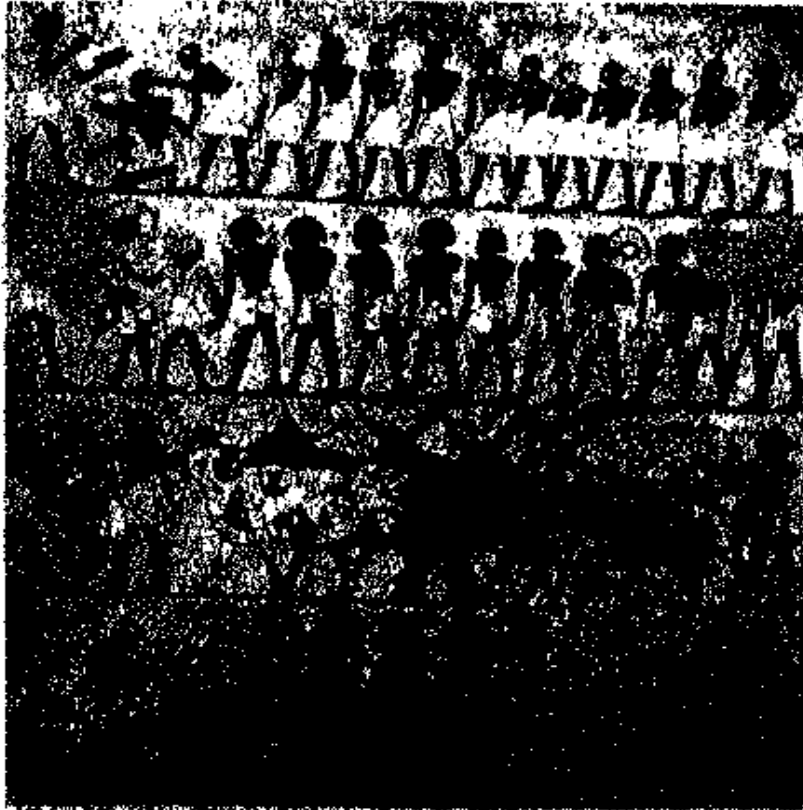
ونلاحظ هذا التسلسل في الهرم الوظيفي في وثيقة ترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة . أنه مشهد تعداد السكان المصور على جسدان مقبرة \* ثانوس \* ، الكاتب في جيش تحوتمس الرابع . ويوضح المتن المدون بالخط الهيروغليفي \*\* أن المقصود هو أن \* يشمل التعداد أرجاء البلاد وأن يتم في حضرة صاحب الجلالة ، مع عمل إحصاء لكافة

---

\* صاحب المقبرة رقم ٧٤ بالهر النفرى بمنطقة عطورة الشيخ عبد القرنة ( المترجم )

\*\*\* عرفت اللغة المصرية القديمة ٤ أنواع من الكتابة :

- ١ - الكتابة الهيروغليبية وهي كلمة يونانية تعنى الكتابة المقدسة .
- ٢ - ونشأت عنها كتابة مختصرة تعرف بالهيراطيقية أى الكتابة الكهنوتية باليونانية .
- ٣ - وقد تطورت بدورها إلى كتابة أكثر اختصاراً تعرف بالديموطيقية أى الكتابة الشعبية .
- ولفتت العلامات الهيروغليبية عدداً كبيراً في أيام الحضارة المصرية المتأخرة . وإن كان الكتاب في أيام الدولة الوسطى والحديثة كانوا يكتبون بحوالى ٧٠٠ علامة هيروغليبية وتبلغ عدد العلامات المسكوكة لدى مطبعة المعهد الفرنسى للأثار الشرقية وهي أغنى مطابع العالم - أكثر من ستة آلاف علامة هيروغليبية . ( المترجم )
- ٤ - والكتابة المعروفة اصطلاحاً بإسم " اللغة القبطية " وهي اللغة المصرية مكتوبة بحروف يونانية. مع إضافة سبعة حروف ديموطيقية (المراجع) .



شكل ١ : مشهد التعداد في مقبرة " ثالوثي " في طيبة .

الأحياء بمعنى حصر الجند والكهنة المطهرين\* وموظفي الملك ومختلف الحرفيين في أرجاء البلاد ، وحصر الماشية بأنواعها والطيور الداجنة والأغنام " . أما ترتيب الرسومات فيختلف اختلافاً واضحاً . فالكهنة يتصدرون الصفوف يليهم في الترتيب موظفو فرعون ، فالجند ، فالماشية وفي نهاية المطاف الجياد . وربما انتهى الكاتب الذي دون المتن أن يمتدح ثانوتى لذا وضع الجند في مركز الصدارة .

وكان من المفترض أن يشمل التعداد المشار إليه البلاد قاطبة من إنسان وحيوان ، ولكن الملاحظ على ما يبدو أنه اقتصر في واقع الأمر على أدنى الطبقات والماشية ، فحسب . إن مجموعة قائمة الأعلام التي صنفها أمنموي ، قد ذكرت الوظائف العليا - الإدارية منها والدينية والعسكرية - دون أي ترتيب بحيث يتعذر أن نستخلص منها أي تسلسل وظيفي . إن احتلال الكهنة الآخرين مكان الصدارة بالنسبة للعمال والفلاحين ، لا يعتبر خروجاً على المألوف في دولة يستند فيها الحكم إلى الحق الإلهي . والشيء نفسه نجده في كتاب هيرودوت . وعلى كل حال ، كان شهاب الكتابة ، يعيدون نسخ هذه النصوص ، وما يائلها من نصوص في دور الحياة داخل المعابد .

ومن كل الملاحظات التي ترتبت على تحليلاتهم ، رغم اختلاف الموضوع ، نتج قدر بسيط من المعلومات المؤكدة حول مكانة الأفراد وفئاتهم في المجتمع المصري . ومع ظهور الدولة ونظمها صار كل فرد في

---

\* وظيفة الكهنة المطهرين فحص طهارة الحيوان ، بعد ذبحه وقبل تقديمه كقربان . فإذا قرر الكاهن طهارة الذبيحة ، قسمت إلى أجزاء صغيرة ثم وضعت على مائدة القرابين . ( المترجم )

المجتمع خاضعاً من حيث المبدأ إلى السخرة \* ، فيزاول عملاً محدوداً في خدمة الملك في إطار مجتمعه وطبقاً لمهاراته . وكان في سلطة الملك نقل الموظفين للعمل بالأرقات المدنية أو العسكرية أو الدينية أو الجنائزية ، أو حتى لدى أحد الأفراد لمدة محددة أو بشكل دائم . ومع مرور الزمن إكتسبت الأمور مزيداً من المرونة .

كان المصريون منذ أقدم العصور ، يفرقون بين مختلف الأوضاع الاجتماعية لأفراد مجتمعهم ، فهناك الأشراف " پحت " \*\* ، إلى جانب عامة الشعب أو الرعايا " رخت " و " حنمت " . كما أن كلمة إنسان " رمت " تدل أحياناً على أي فرد أياً كان ، كما تدل في أحيان أخرى على العامل أو الثمن . ونلاحظ أيضاً ذكر الوضع الاجتماعي للأشراف في مقدمة ألقابهم كلما سنحت الفرصة ، ولكنهم لم يشكلوا طبقة مغلقة . ولدينا أمثلة كافية لأفراد ارتقوا السلم الاجتماعي ارتقاءً حثيثاً لمجرد أن عاھل البلاد كان راضياً عنهم ويريد تقديرهم . ورغم أن حكام الأقاليم قد أصبحوا من الأشراف في عصر الأسرة السادسة ، فإن زواج ملك من الملك من إبنة أحد حكام الأقاليم كان ينال من هيبة الملكيسة الفرعونية . ولئن كان الملك وعائلته في ظل الدولة القديمة ينتمون إلى طبقة الأشراف ، إلا أنهم كانوا يعتبرون في واقع الأمر في منزلة أرقى من هذه الطبقة . ولكن مع حلول الفترة الإنتقالية الأولى تم إعادة النظر في بعض سمات الحكم المطلق التي كان يتمتع بها عاھل البلاد .

---

\* إننا لا نعتق إطلاقاً مع المزلة في هذا التفسير ، وذلك لأن الحضارات العظيمة لا تنى أبداً بالسخرة ، لكنها فكرة روج لها ولاقت القبول عند البعض . ( المراجع ) .  
\*\* " پحت " تأتي بمعنى الإنسان الأدمى ولكن " رمت " تعني التنبهل أو التفتس إلى طبقة النبلاء ( المراجع ) .

إن النصوص المنقوشة على آثار الخاصة من لوحات وقنايل ومقابر وغيرها ... تتضمن - بصفة عامة - عدداً من الألقاب للشخص الواحد ، بمجرد أن يتبوأ صاحبها منصباً ذا شأن في مجتمع عصره . ومن هذه الألقاب ما هو موروث فأوضحت ألقاباً شرفية فحسب . أما الألقاب الأخرى فتسجل ما شغله صاحبها من وظائف متعددة في آن واحد ، أو تلك التي تعاقب عليها . وجزت العادة أن يحتكر الشخص الواحد بعض المناصب الإضافية ، كما شاع الجمع بين الوظائف الإدارية والاقتصادية والدينية بل والعسكرية ، رغم التقاربا إلى رباط واضح يجمع بينها . وبشكل عام فإن وظيفة واحدة من هذه الوظائف تبرز ليكون لها الغلبة والهيمنة على غيرها . غير أن المصري غالباً ما كان يساوي بين مختلف الأعباء والمناصب ، فلا لفرق عنده أن يزاول بالفعل مهنة منتظمة ، أو أن يتولى إدارة أملاك كبيرة ، أو أن يكلفه الملك أو أحد الأعيان مهمة محددة في زمن معين ، بل وأن يمارس ما درج عليه من أعمال التقوى والورع على سبيل المثال . ولسوف يزداد إدارتنا لهذه الظاهرة لو عدنا إلى بعض البطاقات ، ودققنا فيما تحتويه من تفاصيل عن أفضال ومهارات صاحبها ، إلى جانب إطنابها في تسجيل مهنته الحقيقية . لقد انتشر هذا التقليد انتشاراً واسعاً عبر كل العصور ، وهو خير دليل على عدم وجود حواجز جامدة بين كبريات المراتب الوظيفية في الدولة . ومن جانب آخر فإن التعبير عن نفس المهنة الواحدة كان يأخذ أشكالاً متغيرة تغييراً جلياً ، حسبما أراد صاحبها أن يبرز وضعه المهني بالقياس إلى صاحب العمل ، أو الطائفة التي ينتسب إليها ، أو الطبيعة المحددة لعمله .

### ٣ - القصور ، البلاط والمؤسسات الملكية

يتحدد مفهوم القصر الملكي ووظائفه الأساسية ، في عصر الدولة القديمة ، في خمس كلمات أو عبارات . إن عبارة " پر عا " أي البيت الكبير ، أكثرها شيوعاً . وقد اقترنت عادة بعاصمة البلاد " منف " \* ، وهي مقر إقامة عاهل البلاد وعائلته وخاصته . كان " بتاح شبسس " من القرنين إلى أواخر ملوك الأسرة الرابعة وخلفائهم في الأسرة الخامسة . " لقد نشأ وترعرع في صحبة الأبناء الملكيين ، في البيت الملكي الكبير ، وفي المقر الرسمي ، وفي حريم الملك " . وعبارة " پر عا " تتضمن أيضاً الأجهزة الإدارية المختلفة والموظفين القائمين على الخدمة اليومية للملك من أطباء ، ومصقفي الشعر والحلاقين والمستولين عن تجميل الأيدي والخدم على اختلاف أنواعهم والحرفيين . ومن الواضح أن القصر الملكي لم يتدخل في حياة البلاد كشخصية اعتبارية مستقلة . ومن ناحية أخرى ، فقد ارتبطت عبارة " پر عا " بالملك ارتباطاً وثيقاً . حتى صارت في آخر الأمر تشير إلى الملك ذاته ، أي " الفرعون " .

أما عبارة " ستپ سا " ، ومعناها : القصر ، فلم تظهر إلا أيام الدولة الوسطى ، غير أن هذه العبارة كانت تطلق في عصر الدولة القديمة على مقر السلطة المركزية ، وارتبطت ارتباطاً مباشراً ببعض الخدمات التي كانت تقدم للملك ، كموكب الملك ، والحرس الملكي ، بالإضافة إلى تنفيذ الأوامر الملكية .

---

\* هي " انتب - حج " أي الجدار الأبيض والتي ترجع إلى عصر الأسرة الأولى وتقع أطلالها عند قرية ميت وهنة ، بمركز الهدشين . وأطلق عليها " من نفر " في عهد الملك پيبي الأول ، من الأسرة السادسة ، وحرقه الأغرقيق إلى " نفيس " والعرب إلى " منف " ( المترجم ) .




أما عبارة " پرنيسو " ، وتعنى الأملاك التابعة للقصر ، فهى مؤسسة اقتصادية يشرف عليها حاكم البلاد إشرافاً مباشراً . ويعتمد على الأملاك الملكية فى تقديم الهبات والعطايا المحبوسة على الأوقاف والأفراد لاعتبارات جنائزية ودينية فى أغلب الأحيان ، ويعمل فى خدمتها أعداد كبيرة من الكهنة وبعض المدنيين ولا سيما فى الريف .



أما كلمة " عبح " ، فتكتب بعلامة تصويرية \* على شكل " مبنى " وأغلب الظن أنها ليست صورة لمحل إقامة الملك العادية ، ولكنها بنائة تقع فى منزلة وسط بين الجوسق و المقصورة ، ولا يستخدمها الملك إلا فى القليل النادر ، وأثناء الاحتفالات لا سيما فى أعياد اليوبيل \*\* .

ومع ذلك فقد أشار الملك " أسيسى " \*\*\* ، فى خطاب موجه إلى مهندس " سنجم إيب " إلى هذا الجوسق الذى أطلق عليه اسم " لوتس أسيسى " . ويقصد به البناية الفسيحة المتسعة \* ، وكانت له اختصاصات

---

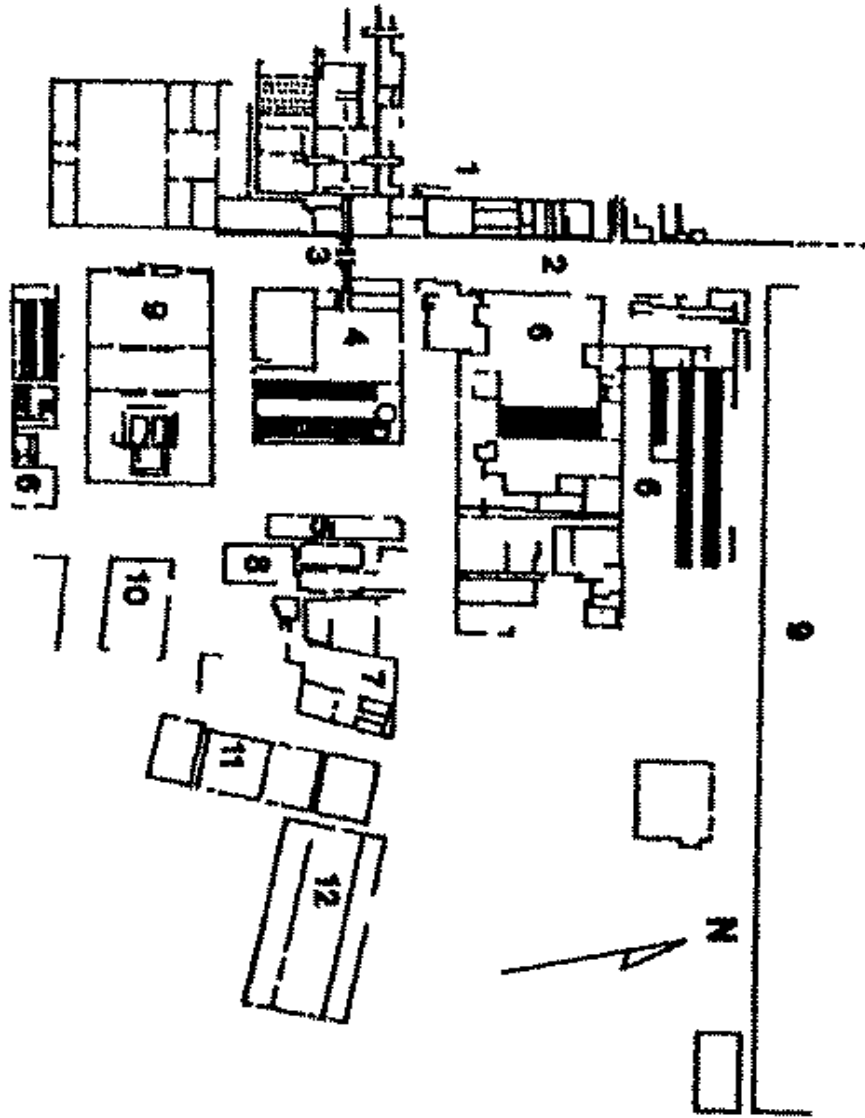
\* يتفنى التمييز بين نوعين من العلامات الهيروغليفية :

١ - العلامات التصويرية : تتكون من رسومات تعنى إما الأشياء المرسومة ذاتها أو المعانى المرتبطة بها مثال ذلك :  وقيمتها الصوتية " را " وتمثل شلتين ، وتعنى القم أو القول .

٢ - العلامات الصوتية : هى فى الأصل علامات تصويرية ، ولكن تستخدم لقيمتها الصوتية دون المعنى المرتبط بها كعلامة تصويرية : ومثال ذلك  " را " وهى حرف جر يعنى : إلى ، ولى ، ولى الجهاء . والعلامة التصويرية عبح ، تمثل رسم مبنى كالتالى  (المترجم) .

\*\* " الحب سد " هو " اليوبيل " أو " العيد الثلاثينى " وهو الاحتفال بمرور ثلاثين عام على حكم الملك . وكان هذا الاحتفال معروفاً فى مصر دون شك ، قبل الأسرة الأولى بزمن كبير ، ويتم الاحتفال وفقاً لمراسم خاصة ، يثبت فيها الملك حيويته وبقوته ، ثم تشيد بعض المباني الخاصة له احتفالاً بالمتاسبة وظل ملوك مصر منذ الأسرة الأولى وحتى آخر أيام حضارتها مخلصين لهذا التقليد . ( المترجم )

\*\*\* من ملوك الأسرة الخامسة ومن القاهه : جد كا رع ( المترجم ) .



شكل ٢ : رسم تخطيطي يوضح مواقع المباني الرسمية في وسط مدينة تل العمارنة  
 ١ - القصر وحرم الشمال وحرم الجنوب ومساكن المرطنين . ٢ - الشارع الملكي . ٣ -  
 - جسر يربط بين بيت الملك وأجنحة الحرم . ٤ - بيت الملك . ٥ - دار المحفوظات . ٦ -  
 - المخازن . ٧ - الشئون الخارجية . ٨ - دار الحياة . ٩ - دور العبادة . ١٠ - مساكن  
 الكهنة . ١١ - ثكنات الجيش . ١٢ - المركز الرئيسي للشرطة .

اقتصادية مرتبطة بالمقر الرئيسي للملك البلاد .

أما كلمة " غنو " ، أى " الداخل " ، فقد شاع ترجمتها بعبارة " المقر الرسمى للملك " ، ولكن دلالة الكلمة وأبعادها يتجاوزان الحدود الضيقة لهذا التعريف . أما من ناحية الاختصاصات ، فهى تفوق اختصاصات ما نسميه اليوم ، وزارة الداخلية . فهى تشمل الجهاز الإدارى ومجموع المكاتب معاً . وتفصيل أدق ، فإن " غنو " شخصية اعتبارية اقتصادية مستقلة ، ويتبع جهازها الإدارى الملك شخصياً شأنها شأن " الأملاك الملكية " . وهى تشرف على الممتلكات الخاصة والعقارات والأغنام والعاملين ، ويوجد تحت تصرفها خزائن عامة ومخازن غلال ، ويقع على عاتقها التوجيه المركزى للإنتاج فى جميع الأملاك ولا سيما الجنائزية منها ، إلى جانب مهمة تزويد الأوقاف والعاملين بها بالمؤن . فوظيفتها الرقابة على إدارة اقتصاد البلاد والحفاظ على توازنها .

نخلص من هذا العرض السريع بتركيز المهام الرئيسية فى محاور

ثلاثة :

- ١ - المقر الرئيسى للملك ونفقة الأسرة الحاكمة .
- ٢ - إتمام الشعائر الدينية الخاصة بالنظام الملكى .
- ٣ - مقر الحكومة .

يجرى القيام بالمهام الثلاث فى أماكن متقاربة وإن كانت مختلفة . ويتضح ذلك من ما تبقى من آثار مدينة تل العمارنة ، عاصمة " أمنحوتب الرابع " \* الذى اعتلى عرش مصر فى أواخر الأسرة الثامنة

---

\* المعروف بإخناتون ، بنى لنفسه عاصمة جديدة ، المعروفة حالياً بإسم تل العمارنة فى الضفة الشرقية من النيل على مقربة من ملوى الحالية وسماها أخت آتون أى ألق آتون . ( المترجم )

عشرة . ورغم معرفتنا للعديد من القصور وملحقاتها والتي ترجع إلى مختلف العصور ، إلا أن الكشف عنها لم يتقدم بالقدر الذى يسمح لنا باستنتاج الوظائف التي كانت تقوم بالمهام المشار إليها ، فأحياناً ، كان المقر الرئيسى للملك البلاد يتعد عن المركزين الإداريين الكبيرين للبلاد وهما منف وطيبة \* ، كما حدث فى عصر الدولة الوسطى وعصر الرعامسة \*\* . وليس من المستبعد إذن فى هذه الظروف أن تظل الأجهزة الحكومية تعمل من هذين المركزين وتدير أعمالها انطلاقاً منهما ، أما البلاط فيذهب حيشاً يذهب الملك ، ولا يتخلف كبار موظفى البلاط إلا للضرورة ، وحسب المهام التي يكلفون بها . وأضاف إلى ذلك ، لقد حدث فى فترات الحكم المطلق أن أقام كبار المسئولين فى الأقاليم مقاهمهم فى الجبانة المجاورة للمقبرة الملكية . وبمرور الزمن تبدل بنیان المؤسسات وتغيرت أهميتها النسبية ، وأحياناً تطورت المصطلحات وتغيرت ، ولكن العمل كان يسير فى معظمه بالطريقة التي كانت سائدة فى الماضى السحيق دون تبديل . وهكذا حفظ لنا الزمن ، مثلاً ، حسابات توريد الخبز إلى المقر الرئيسى للملك بمنف ، والمؤرخة بالعام الثانى من حكم سيسى الأول .

---

\* إسم طيبة ، إسم متأخر لمدينة الأقصر الحالية . سبقه إلى الوجود إسم ( واست ) ، بمعنى الصولجان . وسميت ( نوت آمون ) أى مدينة آمون . ذكرها الشاعر الإغريق هوميروس ( القرن السابع ق م ) بإسم طيبة . ويحتمل أنه نسبها إلى معبدها الذى كان يسمى ( إبهة ) بمعنى الحرم أو الحرم أو المنيز . إما تسمية مدينة الأقصر ، فترجع إلى العرب حيث أطلقوا على المدينة إسم الأقصرين وذلك لوجود معسكرين رومانيين . ثم تحولت الأقصرين إلى إسم الأقصر الحالى . ( المترجم )

••• عصر الرعامسة يغطى الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين ويبدأ برمسيس الأول ، أول ملوك الأسرة ١٩ وينتهى برمسيس الحادى عشر آخر ملوك الأسرة العشرين ( المترجم )

وتنتشر في أرجاء البلاد المؤسسات الملكية والمدنية أو العسكرية ، إلى جانب الأوقاف الدينية أو الجنائزية للملك مصر الذين تنابها على عرش البلاد . ويعمل في خدمتها جيش من العاملين من مختلف التخصصات ، يخضعون لسلطة الملك من خلال ممثليه كالوزير ومديرى القطاعات الإدارية ، وقواد الجيش والمشرفين على البعثات والكتبة ، إلى آخره .. إن العاملين في المؤسسات الملكية موظفون يتلقون أجراً عينياً يستقطع من حصيلة الضرائب ، وتصرف لهم المكائآت في المناسبات كمنحة شخصية لكل مجتهد ومجد . أما الأوقاف الدينية والجنائزية فلها جهازها الخاص من العاملين الذين تعتمد مواردهم على العوائد التي يدرها استثمار ما حبسه الملك عليها من أراضٍ ومواشٍ . فبعد استقطاع الضرائب منها يتبقى لهم ما يكفي لإعاشتهم عيشة مقبولة هنية .

ويبدو أن إدارات أملاك التاج والمعابد وأعيان البلاد قد اتبعت نموذجاً مشتركاً ، إذ شاعت الوظائف المماثلة في هذه الأوساط المختلفة . وتتولى إدارة واحدة الإشراف على العديد من قطاعات العمل في الزراعة ، وتربية المواش ، وجميع المعاصيل وحصر كمياتها وتثريتها ، وإعداد الطعام ، وخدمة الأسياد ، كما تشرف على ورش النساجين ، وحجارة الأثاث الفاخر من الأبنوس ، والأساكفة ، وصناع الأواني ، والصياغ إلى آخره . واختصت بعض الأوقاف ، بامتيازات استثنائية ، فصدرت بها مراسيم ملكية تعفيها من سداد الضرائب للدولة ، كما أعلى كل العاملين بها من أعمال السخرة أو أى عمل إلزامى صادر من جهات خارجية أو من الأجهزة المركزية .

### ٣ - المعابد وملحقاتها : دور الحياة - الورش - الأهرام

عرفت مصر الفرعونية نوعين من المعابد : المعابد التي اعتبرت  
بمنازل للآلهة ، ثم المعابد الجنائزية التي خصصت لإقامة الشعائر للملوك  
بعد وفاتهم والتي سميت في الدولة الحديثة بـ " قصور ملايين  
السنين "

لم تعد أصول الطابع الإلهي للملكية في حاجة إلى دليل أو  
برهان ، فالملك الخي يعرف بحورس ، وإذا تولى قهر أوزيريس ، وخلوده  
الأبدى هو أساس توازن وأنسجام العالم ، والمقصود به هنا مصر . ومن ثم  
كان تشييد المعبد الجنائزي ، أمام الهرم الذي كان يسجى فيه جثمان  
الملك ، حيث وضعت خمسة تماثيل على هيئة الملك المتوفى . ومن خلال  
الطقوس والشعائر كانت التماثيل تطهر وتلبس الثياب وتمسح بالزيت  
العطرة ، وتزين وتوضع أمامها القرابين فوق المائدة المجاورة للباب الوهمي  
وبذلك يسهل على المتوفى الانتقال من عالم الموتى إلى عالم الأحياء  
لتناول الطعام . كان الهرم والمعبد الجنائزي يشيدان على أرض مرتفعة ،  
أما " معبد المزار " \* ومدينة الهرم فكان موقعهما في الوادي على أرض  
منخفضة . وهما يشرفان على استلام مؤونة المعبد الجنائزي ، وتوفير  
الإقامة للعاملين وتنظيم الخدمة اليومية في المعبد والاستعدادات الخاصة  
بالأعياد . ويربط بين معبد المزار والمعبد الجنائزي طريق صاعد .

---

\* وهو يعرف اصطلاحاً بمعبد الرادى ( د. أحمد فخري : الأهرامات المصرية ص  
٢٩ ) المترجم .

ومنذ فجر الأسرة الثالثة ، شيدت مجموعة جنازية فريدة في نوعها

فوق هضبة سقارة\* الصحراوية احتفالاً متجدداً إلى الأبد بأعياد اليوبيل للملك زوسر . وتتكون المجموعة من مباني وهمية ، وكأنها قد أعدت بالأحرى لاستقبال جيش من الأشباح وليس فريقاً من الموظفين النشطين . ومع مطلع الأسرة الراهمة أخذت هذه المؤسسات الفسيحة ، تغطي مساحات شاسعة في دهشور ، والجيزة على وجه الخصوص . وقد وصلت إلينا محفوظات معاهد الأسرة الخامسة الجنازية في أبو صير ، وتدور أساساً حول حسابات المعاهد وهي لا تعتبر سجلاً لاقتصاديات هذه الأوقات ومكانتها في اقتصاد البلاد فحسب ، بل هي تقدم لنا صورة للحياة داخل المعاهد ونشاط الموظفين العاملين فيها . وقد اعتمدت هذه الأوقاف على الإمدادات الغذائية التي توفرها لها الأملاك الجنازية التابعة للملك ، أو لغيره من الملوك ، بأمر من مقر الملك ومعبد الشمس الخاص به . والغرض من هذه الموارد من الأغذية والمنسوجات ، هو تلبية احتياجات الملك بعد وفاته ، كما كانت تستخدم أيضاً لسد الاحتياجات الغذائية للعديد من العاملين في هذه المؤسسات .

تتضمن الخدمة اليومية في المعاهد إقامة الشعائر مرتين يومياً . وهي تنسق مع الوجبتين اللتين كان الملك المتوفى يتناولهما في حياته الدنيا . ثم تزين التماثيل الخمسة ، وتقرأ الطقوس ، وعطهر المكان مرات ومرات ، ويرش بالماء . كما تشتمل على خدمة دنيوية هي إحضار القرابين وإعدادها . وتتكون هذه القرابين من بعض الطيور وعددها أحد عشر وأطيب أجزاء العجول وعدد كبير من أرغفة الخبز والجمصة إلى آخره ... كما تمتد الخدمة اليومية إلى توزيع المؤونة المقدمة للمك وأعمال

---

\* سقارة هي جبانة منف ( ميت رهينة ) إسم لديهم مشتق من إسم الإله " سكر " الإله الحارس لهذا المكان . ( المراجع ) .

حراسة المبنى ومحتوياته ، وتسجيل بيانات قسم المحفوظات . ويتقسم العاملون في المعابد إلى خمس مجموعات يباشرها خمسة رؤساء . يقوم كل منهم بالخدمة بالتناوب وفقاً لجداول مازال بعضها باقياً حتى يومنا هذا . وتنقسم كل مجموعة إلى قسمين ، ويضم كل قسم نيف وعشرين شخصاً يقودهم مسئول . وإلى جانب هذه الجماعة المنظمة ، كان يقوم على خدمة المعبد الكهنة المطهرون والحرفيون ومصنفو الشعر والفخاريون والطباخون ومنظفو الملابس والملاحون والحمالون والأطباء والمنشدون ، بحيث يصل مجموعهم الكلى إلى ما يقرب من ثلاثمائة فرداً .

ويحتشد جمع كبير في مقاصير مقابر الأفراد حول المجموعات الجنائزية الملكية ، ومهمتهم توفير القرابين لرجال البلاط وكبار الموظفين وعائلاتهم . وكثيراً ما تستقطع هذه القرابين من القرى التي يقدم للمعبد الملكي المجاور . وقد يتمتع الأفراد الذين فضلهم الملك وقرىهم إليه بنوع من الإيرادات للحصول على الأطعمة اللازمة لهم بعد وفاتهم ، ودفع رواتب " خدام الكا " \* المكلفين بهذه الشعائر . وقد تأتي هذه الإيرادات ، شأنها شأن موارد المعابد ، في استثمار الأملاك الجنائزية المنتشرة في أرجاء البلاد .

أما معابد الرعامسة الجنائزية في طيبة ، فكانت في منزلة تجمع بين المعابد الجنائزية في الدولة القديمة والدولة الوسطى من ناحية ، والمعابد الإلهية من ناحية أخرى . إن الرسم التخطيطي الذي شيدت على أساسه هذه المعابد شبيهاً بالرسم التخطيطي لمعابد الآلهة ، كما تضم قصراً مصغراً ، لا غنى عنه لاحتفالات اليوبييل وغيرها من الاحتفالات التي تقام داخل الحرم المقدس . وإضافة إلى ذلك ، كانت المعابد تمثل مراكز

---

\* وهم خدم تماثيل القرين ( المراجع ) .



اقتصادية هامة ، ومثال ذلك الرامسيوم \* ، ومراكز إدارية كما هو الحال بالنسبة لمعبد مدينة هابو \*\* .

وكانت المعابد الإلهية الكبرى أيضاً مركزاً لمؤسسات شاسعة متنوعة الاختصاصات . لقد اختص كل معبد ذو شأن ، بقصة للمخلوق كما تخيلها كهنته ، منذ أقدم الأزمنة ، وشيدت هذه المعابد في نفس المكان الذي ولد فيه العالم طبقاً لهذه القصة . ويفضل المحفوظات المحلية والنصوص المنقوشة على الجدران ، عرفنا هذه الأحداث التي وقعت منذ الأزل . فالشعائر اليومية والشعائر التي تقام في مواسم محددة تكريراً للآلهة المحليين الرئيسيين في كل مكان ، تسير طبقاً لطقوس قريبة الشبه بتلك التي كانت تستهدف ضمان خلود الملك المتوفى . إذ يحل تمثال الإله محل تمثال الملك ، ويقع حبيس الناووس \*\*\* في أعماق المعبد ، ولا يحق لأحد أن يفتح أبواب الناووس إلا أعظم الكهنة مرتبة . إذ لا يجوز لغيرهم الدخول إلى هذا المكان الذي يعتبر أكثر أماكن المعبد قدسية . ويشرف الكهنة على تزيين التمثال واللباس ووضع الحلوى من حوله وإطلاق البخور وتقديم أشهر الأطعمة الطازجة بينما ترتفع أصواتهم بتلاوة الشعائر المقدسة اليومية . وفي نفس الوقت تجرى مراسم أخرى في أجزاء المعبد المختلفة ، كتنقل التمثال أو مركب الإله والطواف به فوق سطح

---

\* الرامسيوم . معبد شيده رمسيس الثاني ، في البر الغربي من مدينة طيبة .  
( المترجم ) .

\*\* معبد مدينة هابو ، شيده رمسيس الثالث ، في البر الغربي من مدينة طيبة  
( المترجم ) .

\*\*\* هي مقصورة لها باب يفتح ، تحتوي على تمثال للإله الرئيسي للمعبد  
( المراجع ) .

المعيد ، أو خارجه \* ، وتصدح المرسيقى وتتلئ أناشيد الطقوس ،  
وتعرض الأسرار الدينية ، وتجري أعمال الكهانة وقراءة أحوال الغيب ..  
وتتولى جماعات الكهنة بالتناوب أداء هذه المهام ، كل حسب كفاءته ،  
وحسب درجة علمه الربانى ، يعاونهم فى بعض هذه الممارسات بعض  
الأفراد غير المنتمين إلى السلك الكهنوتى الذين يتم اختيارهم من أعيان  
المنطقة التى يقع فيها المعبد .

وتشكب فئات عديدة من الكهنة على أداء فرائض الشعائر اليومية  
ويقومون بهذا الدور الكهنوتى نيابة عن الملك ، ولكن عندما يعهد إليهم  
تنفيذ مهام أساسية أخرى ، فإن ذلك يتطلب قدراً كبيراً من البراعة  
والفن والقدرات الذهنية المتميزة . ومن هذه الأعمال نسخ وتحرير الكتب  
المقدسة فى " دور الحياة " . لقد تخرج من هذه المؤسسات أجيال وأجيال  
من الكتبة الذين تدرؤوا على نسخ المؤلفات الدينية والدينية القديمة ،  
وتصنيف وثائق جديدة ، والبحث فى المحفوظات المقدسة عن وصفات  
طبية وسحرية وطلاسم فلكية . كما كانت هذه المؤسسات مركزاً لتعاون  
العلماء على اختلاف مشاربهم . وقد سبقت هذه المؤسسات مثيلاتها من  
أديرة القرون الوسطى فى الغرب الأوروبى ومهدت لقيامها . وعلى  
مسافة غير بعيدة من " دور الحياة " ، كانت تقام معامل علمية تضم  
المتخصصين الذين تفرغوا لاختراعاتهم أو لصناعة العطور والدهون  
والتعابيد .

---

\* والطرائق بالمركب إلى وقتنا هذا - هو من مراسم الاحتفال بولاد سيدى يوسف  
أمر الحجاج بمدينة الأقصر ( المراجع ) .

قبل تسجيل مستوى الفيضان الذي تتوقف عليه وفرة المحاصيل . ويوزع الملك جل اهتمامهم بين المظاهر الرمزية للنظام الملكي وعلامات الورع والتقوى وبين إدارة اقتصاد البلاد والدفاع عن حدود المملكة . ويتم تسجيل المراسيم والخطابات المعبرة عن الإرادة الملكية على النصب أو اللوحات الحجرية ، وعلى جدران مقابر رجال البلاط . ويلاحظ أن زوسر ونب كاو ، وملوك الأسرة الرابعة سنفرو وخوفو وخفسرع ، صاروا أبطال القصص الأدبية ، وكانوا يسمون وراء المتع الذهبية بدرجات متفاوتة . إن نبؤات نفرتي والتي تم تأليفها في زمن لاحق ، وفي عهد الدولة الوسطى بالتحديد ، تقدم عرضاً لأصول السلوك المتحضر في البلاط الملكي :

\* في أيام صاحب الجلالة الملك البار سنفرو - له الحياة والرفاهية والصحة\* - الذي اشتهر بكرمه في طول البلاد وعرضها ، حدث ذات يوم والملك جالس في قصره أن دخل عليه موظفو البلاط لتقديم فروض الطاعة والولاء ، ثم انصرفوا حسبما اعتادوا كل يوم . وهم جلالتهم - له الحياة والرفاهية والصحة - فقال لأمين خزانة المملكة الواقف بجسواره : \* هيا ، استدع موظفي البلاط الذين انصرفوا لتوهم بعد أن قدموا فروض الطاعة \* . ومثل الموظفون ثانية بين يدي الملك . \* وانبطحوا ثانية على الأرض في حضرة الملك ... \*  
( نقلاً عن الترجمة الفرنسية للنص المصري القديم :

G. Lefebvre : Romans et Contes `egyptiens, Paris  
, 1949 , P. 96 - 97 . )

---

\* عبارات تترن عادة بأسماء الملوك وكل من كرمه الآلهة .

أما قصة سنوحى - فتتوخى مزيداً من الدقة عندما تصور أحداثاً  
معاصرة للأسرة الثانية عشرة :

حضر عشرة رجال، وأنصرف عشرة رجال . ورافقونى إلى القصر .  
ولست بجهتى الأرض بين قمايل أبى الهول . وكان الأبناء الملكيون فى  
انتظارى عند المدخل لاستقبالى . أما أصدقاء الملك الذين سبقونى إلى  
البحر الملكى فقد أرشدونى إلى الجناح الملكى الخاص ، حيث وجدت  
جلالته جالساً فى المحراب ، على عرش من الألكتروم \* . فانبطحت  
أرضاً على بطنى ، وغبت عن وعى .. "

( نقلاً عن الترجمة الفرنسية للنص المصرى القديم  
G. Lefebvre , O.C., P. 21 )

عرفت الأسرة الثانية عشرة منذ الأجيال اللاحقة بفطنة ملوكها ، وبما  
محلوا به من خصال حميدة . ونسبوا إليهم الفضل فى تأليف أسفار فى  
الحكم . وسواء أكان ذلك حقيقة أم من نسج الخيال ، فقد ساد الاعتقاد  
أن كل ملك يؤلف سفرًا من هذه الأسفار كان يورثه لخليفته ، ثم يتواتر  
السفر عبر الأجيال من بعده .

إن الصورة التى تركها لنا ملوك الدولة الحديثة عن أنفسهم فتتمثل  
القادة العسكريين الذين كللت هاماتهم بالأمجاد ، والذين يقودون قواتهم  
من نصر إلى نصر . فنراهم وهم يقدمون إلى الآلهة ثروات البلاد  
المفتوحة ، أو يتقبلون الجزية من زعماء الدول المجاورة المغلوبة ، أو  
يوزعون الهدايا السخية على أفضل خدام الدولة فى احتفالات مهيبه .

---

\* الإلكتروم : الإسم الذى أطلقه اليونانيون على سبيكة من الذهب والفضة  
( المترجم ) .

كان الكثير منهم مشرّعين ، فاشتهر حورمحب وسى الأول ورمسيس الثاني بإصلاحاتهم . وذاعت شهرة أمنحوتب الرابع بفضل تصوراته ذات النزعة الطبيعية والتي تركت أثراً عظيماً فى مفاهيم الفن والأدب فى نهاية الأسرة الثامنة عشرة .

\*

\* \*

يرتبط منصب الوزير وكبار الموظفين ارتباطاً وثيقاً بمكانة الملك فى إطار حكومة البلاد . ولذا ، وسبب افتقارنا إلى التراجم الذاتية الدقيقة ، يتعذر علينا فى المعتاد تحديد مسئولية كل منهم تحديداً واضحاً . فمنصب الوزير يقابل منصب رئيس الوزراء فى العصر الراهن ، أى أنه كان رئيس الجهاز التنفيذى . إن وجود هذا المنصب أمر مؤكد منذ مطلع الأسرة الرابعة ، بيد أنه لا يمكن استبعاد وجوده قبل ذلك العصر . وأثناء الدولة الحديثة تزايدت مهام الوزير حتى أثقلت كاهله ، فظهر منصب وزير الوجه البحرى إلى جانب وزير الوجه القبلى . وكانت مسئولية الوزير هى تسيير الأمور فى أرجاء المملكة . كان عاهل البلاد يختار الوزير من بين أقرب المقربين إليه ، بل ومن بين أفراد أسرته . ولقد وصلتنا العديد من التراجم الذاتية التى تمتدح كفاءة الوزراء المتوفين ومآثرهم . وكانت مقبرة \* رخمى ربح \* ، معاون تحوتس الثالث وخلفائه ، هى المقبرة الوحيدة التى احتفظت بمشاهد اعتلاء الملك عرش البلاد . وإلقاء خطابه بهذه المناسبة ، وقد فصل الخطاب واجبات الوزير الذى يشغل الوظيفة الأولى فى الدولة ، مع تصوير مختلف الأنشطة التى يشرف عليها ، وتدوين كافة الشروح اللازمة .

---

\* وهو صاحب المقبرة رقم ١٠٠ فى الحوزة العليا بجهة شيخ عبد الترنه بطيبة الغربية ، وكان رخمى ربح حاكماً لمدينة طيبة وتولى الوزارة فى أواخر أيام تحوتس الثالث والسنوات المبكرة من حكم ابنه أمنحوتب الثانى ( المترجم ) .

وتجربى لقاءات الوزير اليومية مع كبار المسؤولين فى الدولة فى مكتبه عندما يكون فى العاصمة . وهذه المقابلات تسير وفقاً لتقليد ثابت لا يتغير :

\* فيجلس ( الوزير ) على مقعده وفوقه وسادة ، بينما الأرض مغطاة بالحصير ، وفوق رأسه مظلة ، وتحت قدميه وسادة أخرى ، ويمسك بعضاً فى يده . وتصف أمامه مفتوحه قراطيس الرق الأربعين ، ويقف أعضاء \* مجلس الشيوخ العشر فى الجنوب \* \* على الجانبين وفى مواجهة . أما إلى يمينه فيقف خادمه الخاص ، بينما المشرف على الإيرادات يقف على يساره . وكتابة الوزير على مقربه منه ، وفى إمكان كل منهم أن يحدث الآخر ( ١ ) والواقع أن كلاً منهم يقف فى المكان المناسب . يستمع الوزير إلى من يحل عليه الدور ، ولا يسمح لآخر أن يتحدث قبل الشخص الذى حلّ عليه الدور .. \*

بداية يتسلم الوزير أختام الحجرات المحصنة ويشرف على فتحها . ثم يحاط علماً بالأوضاع فى قلاع الشمال والجنوب . وتعرض عليه مصروفات وإيرادات الأملاك الملكية وأراضى المقر الرسمى لعاهل البلاد . ويقدم مدير الشرطة ورؤساء المراكز تقاريرهم إليه . ثم يتجه إلى القصر الملكى لتقديم فروض الولاء للملك ، ومقابلة مسئول الأختام ، ليتباحث معه فى إجراءات الأمن الخاصة بفتح جميع أبواب الأملاك الملكية التى تجرى مرتين فى اليوم . وينجز الوزير كل هذه الأعباء فى صدر النهار .

---

\* تتم اختصاصات هذا الجهاز إلى أرجاء البلاد ولا يختص بالجنوب فقط كما قد يرحى بذلك الإسم . وتتكون من كبار الموظفين الساهرين على تنفيذ الإدارة العليا للبلاد . ( المترجم ) .

ومن اختصاص الوزير وحده ، محاكمة كبار الموظفين بشأن التهم التي يوجهها إليهم زملائهم ، كما يختص بالفصل في الدعاوى الداخلية الخاصة بالأحكام الملكية . كما يحق لأي موظف ، سواء أرفعهم مرتبة أو أقلهم شأناً ، أن يمثل بين يديه طالباً النصيح والإرشاد . وهو يقوم بتسجيل الهبات وعقود البيع أو القسمة ، ويفحص العرائض والمظالم الخاصة باستثمار الأرض ، ويأمر بقطع الأشجار في أملاك الملك عند الضرورة ، ويقرر بناء السدود ، ويقف على أوضاع شبكة الري في البلاد ، ويسهر على حسن توزيع المياه على الحقول والمزارع ، ويصدر التعليمات إلى حكام الأقاليم ورؤساء الأملاك في أوقات الحصاد . وهو الذي يحدد الدوائر الزراعية والمراعى في كل إقليم ، كما يتولى الإعلان عن قدوم الفيضان وهدء السنة الجديدة بعد أن يستطلع شروط نجم الشعري اليمانية . وفي احتفال ضخم مهيب ، يتقدم الرسل القادمون من أرجاء البلاد إليه لتسليم الضرائب ، ويمثل بين يديه دافعوا الجزية من أنحاء الإمبراطورية . وهو الذي يعين الموظفين وينظم تجنيد قوات الحرس الملكي ، ويرسل المندوبين إلى المسئولين المحليين لتنفيذ المراسيم الملكية وإبلاغ تعليماته إلى أركان حرب الجيش .

وبما لا شك فيه ، أن الوزير غير مكلف يومياً بمعالجة كل هذه القضايا أو إنجاز جميع هذه المهام ، إنما هي موزعة على مدار السنة ، وكل ما قصدناه هو تقديم عرض موجز بالمسئوليات التي كان يضطلع بها الوزير رخمى رع . ومن المشاهد الأخرى بمقبرته نراه في جولة تفقدية في مخازن أملاك أمون وورشه . ومن ناحية أخرى ، نعرف أنه كان المسئول شخصياً عن إعداد مقبرة عاهل البلاد ومتابعة تقدم العمل في الإنشاءات الملكية الكبرى . كما يحضر الاحتفالات الملكية العظمى ويشترك في الأعياد الدينية وما شابه ذلك . ومن هنا نشأت الحاجة إلى جهاز إدارى ضخم متعدد الاختصاصات ليعاون الوزير في أعبائه الضخمة .

## ٢ - الموظفون

من غير الوارد هنا أن نتناول ولو بشكل مقتضب أمثلة مختارة لأكثر الوظائف ثقيلًا للجهاز الإداري في العاصمة أو في الأقاليم .  
وحسبنا أن نعطي الكلمة ولو لبرهة وجيزة لأحد كبار موظفي الأسرة السادسة الذي وصل في سلم الترقى إلى منصب حاكم إقليم وحاكم الجنوب . ثم نتناول بالبحث وظيفة الكاتب المصري ، أحد ركائز الجهاز الإداري ، فندرس ولو بشكل جزئي المهام التي كانت ملقاة على عاتق هذا الموظف العام . لقد بلغت هذه الوظيفة درجة فائقة من التنظيم الذي حماها من التقلبات والأزمات التي لحقت بالنظام الملكي ، وظلت صامدة أمام الغزوات الكاسحة .

سبق أن أشرنا إلى " ونى " كبير موظفي القصر ، عند الحديث عن المسئوليات الجسام التي كلفه بها بيبي الأول\* حين نصبه على رأس جيشه . ويروى لنا " ونى " كيف ارتقى درجات السلم الوظيفي ، كما يبرز أهم مراحل حياته الوظيفية قائلاً :

" عندما كنت غلاماً ما يزال يتمنطق بالزئار ، شغلت وظيفة رئيس مخزن في عهد صاحب الجلالة تينى . ثم عينت كبيراً لموظفي البيت الكبير ( ... ) ثم كاهناً مرتلاً وكاهناً أول بالقصر الأزلي ، في عهد صاحب الجلالة بيبي . ثم رقاني جلالتهم إلى منصب الصديق وكبير كهنة مدينة هرمه ( ... وعينني جلالتهم ) قاضياً في مدينة نخن\*\* إذ كنت

---

\* بيبي الأول هو ثاني ملوك الأسرة السادسة وأحد ملوكها العظام . ( المترجم )  
\*\* قامت على أطلال نخن القديمة قرية الكوم الأحمر الحالية ، شمال أديسوس ( المراجع ) .



محل ثقته ، فاشتركت بمفردى مع الوزير فى الفصل فى القضايا الخاصة  
بشتون الملك والحريم الملكى ومحكمة الستة ( ... ) وعندما كنت قاضياً  
فى مدينة نخن عينى جلالتة صديقاً أوحده وكبيراً لموظفى البيت  
الكبير . وجرت محاكمة سرية فى الحريم الملكى للزوجة الملكية وصاحبة  
الحظرة الكبرى ، وكلفنى صاحب الجلالة بالفصل فى القضية وحده ،  
دون معاونة قاضى أو وزير أو عين من الأعيان ... بل حكمت فيها  
بمفردى \* ( ... ) .

وهنا نصل إلى الفقرة التى سبق الاستشهاد بها ( ص ٢٤ - ٢٧ )  
لقد خرج " ونى " على رأس الجيش الذى تم تجنيده لصد الغزاة القادمين  
من آسيا . ونظراً لنجاحه كلفه ييى الأول خمس مرات على التوالي  
بإعداد القوات اللازمة لمحاربة نفس الأعداء ، فقاد قواته إلى النصر  
الحاسم . وعند عودته إلى البلاط الملكى كانت فى انتظاره مهام جديدة  
جسام :

وإذ كنت مشرفاً بالقصر الملكى وحامل النعال ، قسام سيدى ، مرى  
ان رع \*\* ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى - فليحيا إلى الأبد -  
وعينى حاكماً مشرفاً على الوجه القبلى فى جنوبى " إلفنتين " \*\*\*

---

\* تخلص ييى الأول من زوجته الملكية وقدمها للمحاكمة لأسباب لا نعرفها . وقد  
عاونته " ونى " فى تنفيذ عقوبته لنال الثقة الغالية . ( المراجع ) .  
\*\* ابن ييى الأول وهو أحد ملوك الأسرة السادسة العظام وقد مات فى سن  
مبكرة ( المراجع ) .  
\*\*\* الفتن - بيرة أسوان وكان اسمها أيام الفراعنة " أبر " ومعناها مدينة  
القبيل ( المترجم )

وحتى شمال أطفيج \* ( ... ) وانجزت كل ما كلفت به من أعمال . وقمت مرتين بجره جميع أملاك المقر الملكى فى صعيد مصر . وكانت بحاجة إلى الجرد . كما قمت أيضاً بحصر جميع الوظائف التابعة للمقر الملكى والتي كانت بحاجة إلى حصر . وشكلت هيئة إدارية لذلك ، فكان نجاحاً باهراً فى صعيد مصر ( ... ) وأرسلنى صاحب الجلالة إلى " إيهيت " \*\* لإحضار تابوت الأحياء أو " رب الحياة " بغطائه والهرم النفيس الجليل المخصص للهرم المسمى " مرى أن رع يشرق فى كماله " . كما أرسلنى صاحب الجلالة إلى الفتين لإحضار الباب الرهمنى وعتبة الباب والعتب العلوى والتارس ، وكلها من الجرانيت ، إلى جانب الأبواب والبلاط الجرانيتى اللازم للحجرة العلوية لهرم " مرى أن رع يشرق فى كماله " . وأبحرت شمالاً ، قاصداً هرم " مرى أن رع يشرق فى كماله " على رأس أسطول من السفن يضم ستة صنادل وثلاث سفن مسطحة ذات شراع مربع وثلاثة مراكب . كما أرسلنى صاحب الجلالة إلى " حنوب " \*\*\* لإحضار مائدة ضخمة من الأليستر الذى تشتهر به هذه المنطقة . كما أرسلنى صاحب الجلالة لشق خمس قنوات فى صعيد مصر \*\*\*\* كما ذهبت إلى " واوات " حيث خشب السنط، لصناعة ثلاثة قوارب وأربع سفن مسطحة ذات شراع مربع " وقد قام الأمراء الأجانب فى كل من إرتت وواوات وإيام ومدجا بتقديم الأخشاب اللازمة . " ( النص الفرنسى نقلاً عن

\* أطفيج ، كانت عاصمة الإقليم ٢٢ من أقاليم الوجد القبلى ، وتقع جنوب مدينة الصف . كان اسمها القديم " تپ إس " وتبع فى العصر القبطى ، وهو أصل اسمها الحالى ( المترجم ) .

\*\* معاجر إيهيت بالنوبة ( المترجم ) .

\*\*\* تقع شرق النيل ، جنوب شرقى تل العمارنة . وتعنى دار الذهب أو قصر

الذهب ( المترجم ) .

\*\*\*\* عند الهندل الأول لتيسير الملاحة ( المترجم ) .

Rocatti . la Litterature historique Sous l` Ancien Empire , Paris , 1982 . P. 191 - 197 ) .

شغل " ونى " مختلف المناصب على امتداد حياته الوظيفية . فتقلد على التوالي ، أو فى آن واحد ، مناصب إدارية داخل القصر ، أو قضائية فى الأقاليم وذلك فى بداية الأمر ، ثم فى البلاط الملكى . كما تبرا المناصب العسكرية ، ثم عاد إلى المناصب الإدارية ولكن على صعيد أرقى ، كمعارن مباشر للملك ، ووزيره فى صعيد مصر . وأخيراً وقع عليه الاختيار لإعداد مقابر الملوك الأربعة الذين خدم فى عهدهم . وهى مهام لم يكلف بها إلا من تحلى بالأمانة ، فقد كان " ونى " أهلاً للثقة الكاملة .

\*

\* \*

يتضمن برنامج تدريب الكاتب مجموعة نصوص دعائية ونماذج خطابات وحسابات . ومع حلول الدولة الحديثة ظهرت مؤلفات مستوحاة من كتاب " هجو المهن " ، مع تطوير الناحية الإبداعية فيه . لقد استهدفت هذه المؤلفات تمجيد مهنة الكاتب من خلال تشبيط هم الشبان المتطلعين إلى اختيار مهن أخرى غير مهنة الكاتب ، والعمل على إحباط مسعى الكتبة الراغبين فى تغيير مهنتهم . وإن إصرار هذه المؤلفات فى عناد على بلوغ هدفها ، ليثير الشكوك والارتياب ، لا سيما لما نلاحظه من إنتشار موضوع أدهى آخر انتشاراً واسعاً . يتمثل فى خطابات تأنيب وهمية موجهة إلى الكتبة المتكاسلين .

إن الصيغة التقليدية لهذا النوع من الأدب تبدأ بالأمر القاطع :  
" كن كاتباً " ، يلي ذلك قائمة طويلة تبين بالتفصيل المساوىء والأضرار  
التي تنتظر كل غلام يرتكب حماقة اختيار مهنة أخرى غير مهنة  
الكاتب . ويدور الحديث حول مختلف المهن التي يمكن أن يتصورها  
عقل ، عدا مهنة الكاتب بالطبع ، وظهرت نسخة منقحة في هذا النوع  
الأدبي ، كانت أكثر لطفة في نقدها ، حيث تقلد عند حد التأكيد بشكل  
عام على مزايا وظيفة الكاتب لأصحاب التكوين الجسماني الرقيق :  
" كن كاتباً . فبشرتك ناعمة ومساعدك يصاب بالإعياء ( بسرعة )  
لا تحترق كما تحترق الشمعة على غرار من تداعت قواهم الجسدية . إن  
عظملك طرى . . أنت طويل ونحيف ، فإذا أقدمت على جر الأحمال أو  
رفعها .. خارت قواك ، إلخ .. "  
بينما تتمحور نصوص أخرى مباشرة حول المزايا المادية لوظيفة الكاتب

وامتيازاتها :

" أقدم لك النصح والإرشاد على المستوى الذهني وعلى المستوى  
الجسماني ، حتى ( تتمكن ) من الإمساك بلوحة الكتابة بيسر  
وسهولة ، وكى تكتسب ثقة الملك ، فتفتتح أبواب خزائنه ومخازن  
غلاله ، فتتوفر لك إمكانية تقديم الترابين في الأعياد والمراسم . وترتدى  
الملابس الفاخرة وتقتنى الخيول ، بينما يرسو قاربك عند شاطئ النهر .  
وسوف تسير في الطرقات في حماية فرقة من الحرس ، وتتحرك بحرية  
أثناء جولاتك التفتيشية . سوف تقطن داراً جميلة في المدينة ،  
ويختارك عاهل البلاد في منصب مرموق ، ويلتف الخدم والخدمات من  
حولك ، ويتقرب منك العاملون في الريف والحقول التي تشرف على  
استصلاحها ، فيصافحونك وعلامات البشر والسعادة على وجوههم .  
" إنصت إلى . . إنى جاعل منك موظفاً من موظفى " سلك الحياة ،  
" اتقن ماتنسخه ، فتعفى من الضرائب وتصبح قاضياً  
مرسوقاً ( ... ) . "

إن وظائف الكاتب متعددة ومتنوعة ، حسب الجهة التي تستخدمه ، سواء كانت قطاعاً عاماً أو قطاعاً خاصاً . فيعمل في إحدى المدن أو ينتقل إلى الريف ، أو يقيد على قوة إحدى المؤسسات ، أو يندب للعمل في إحدى الحاميات العسكرية في أطراف البلاد . ورغم ذلك فإن هذه الوظيفة تنطوي عادة على قدر كبير من المسؤوليات الجسام التي تضع صاحبها فوق مستوى عامة الناس ، وتفتح أمامه آفاقاً رحبة لمستقبل زاهر باسم . " فالترقى هدف كل منا " ، ولا جدال أن معرفة القراءة والكتابة والإلمام بالحساب والقوانين تعطى صاحبها سلطاناً على الجماهير التي يغلب عليها الجهل والامية . ولا يشترط بالضرورة حتى يصبح المرء كاتباً أن ينتسب إلى علية القوم في المجتمع المصري . ويكشف لنا فحص الأنساب عن وجود عائلات بأكملها توارثت وظيفة الكاتب . ونذكر على سبيل المثال عائلة الذين سجلوا محفوظات " قبر فرعون الجليل ، العظيم للملايين السنين " في العام السادس عشر من حكم رمسيس الثالث وحتى العام العشرين من حكم أمن إم أريت \* .

أى ما يقرب من مائة وخمسين سنة تعاقب خلالها على هذا المنصب سبعة أفراد كانت مهمتهم تسجيل العاملين في الوقف الملكي ، ومتابعة سير العمل ، وحصر المواد المرسله للوقف لاستخدامها في أعمال التشييد ، والآلات ، وكذلك الأجور العينية على هيئة غلال والتي كانت تسلم مع مطلع كل شهر ويجرى تدبيرها بمعرفة الأجهزة المركزية ، كذلك تسجيل المراسيم القضائية الصادرة في قرية دير المدينة ، حيث يقطن العاملون ورؤسائهم ، ويراصلون عملهم في هدوء مادامت الحكومة تحافظ على الأمن والاستقرار ، وتضمن رخاءً نسبياً في أرجاء البلاد . ويستعين

---

\* أمن إم أريت : أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين الذين حكموا في صان الحجر ( تانيس ) ( المترجم ) .

الكاتب بكاتبين آخرين مسئولين عن الجماعات المعاونة ( سحبت ) فى فرق العمال ، وعن الإمدادات اليومية التى تتسلمها هذه الفرق . وكان من صميم اختصاص كاتب الجبانة كتابة المراسلات المرفوعة إلى الوزير أو إلى الملك ، إذا اقتضى الأمر ، أو إلى السلطات الإقليمية . كما كان مسئولاً عن تدوين التقارير وغيرها من وثائق رسمية . فعندما اجتاحت الاضرابات الجماعات العمالية بعد أن تكرر وقف صرف أجورهم العينية ، تولى الكاتب مفاوضة المسئولين . ولما بدأت العصيانات المسلحة تجوب الريف ، وتزايدت أعدادها فعانت فى الأرض فساداً ، وعجزت السلطة المركزية عن التصدى لها لانشغالها بواجبات تقتضيها الضرورة القصوى ، أخذ كاتب الجبانة يحل محل السلطات المركزية فى هذه المهمة ، على الصعيد المحلى فى أول الأمر ، ثم امتد نفوذه ليشمل مناطق بأسرها . فقد لجأ هو وفرقة محدودة ، إلى معبد رمسيس الثالث الجنائزى \* ، واحتسى وراء أسواره المحصنه ، وحول المعبد إلى إدارة مركزية حكومية تشرف على المنطقة بأسرها وكان يباشر أعماله من مكتب جدير بوظائفه الجديدة ، فكان ينتقل إلى القرى والأماكن الواقعة جنوب البلاد لتحصيل الضرائب اللازمة لتسيير أمور مؤسسات مدينة طيبة وعلى الأخص دفع أجور الموظفين . وقد يختار أحدهم للقيام بمهام جسيمة . فيضطر إلى السفر إلى مصر الوسطى وإلى النوبة جنوباً حيث كان الجيش المصرى يواجه صعوبات فى الدفاع عن الحدود الجنوبية للبلاد . وكان اختياره لهذه المهام يتم رغماً عن أنفه حيث أفصح فى مراسلاته عن نفوره من كثرة الأسفار والترحال .

\* معبد رمسيس الثالث ، بمدينة هابو ، غرب طيبة ، هو أكبر ما حفظ من المعابد الجنائزية . كما أنه المعبد الوحيد المحصن . وتبلغ مساحته حوالى ٦٤ . ٠٠٠ م<sup>٢</sup> ( ٢٣٠ × ٢٠٠ ) متراً أى أكثر من ١٥ هكتاراً ( د . محمد أنور شكرى . العمارة فى مصر القديمة ١٩٨٦ . ص ١٢٩ و ٤٢٢ ) ( المترجم ) .

### ٣ - العمال والحرفيون

إن التمييز بين عامل متخصص وحرفي وفنان لا يركز إلى وجود مؤسسات تجميع كل فئة على حدة ، وإنما كانت بعض المهن تساعد ، أكثر من غيرها ، على إبراز مهارات أصحابها وقدراتهم . فإن عملوا مثلاً في بلاط الملك ، أو في ورشة أو في الإنشاءات التي تهم الملك بشكل خاص ، تكون فرصتهم في التميز أكبر وأعظم ، ومن ثم تكون الترقية من نصيبهم مكافأة على اجتهادهم . فنرى " مري پتاج عنخ مري رع " ، المدعو " نخبو " \* ، قد بدأ حياته كبناء عادي ، ليصبح فيما بعد المعماري المفضل عند بيبي الأول :

" بدأت عملي عند جلالتك كبناء عادي . ثم عينني جلالتك مفتشاً على البنائين ، فمشرقاً عليهم . ثم رئيساً لمجموعة ، ثم رقاني جلالتك إلى نجار وبناء تابع للملك . ثم عينني صديقاً أوحد ، ونجاراً وبناء ملكياً في الإدارتين ( ... ) وعندما ، اصطحبت أخى ، رئيس أعمال الإنشاءات ... كنت أتولى أعمال الكتابة وأحمل لوحة الكتابة . فلما عين أخى مفتشاً على البنائين حملت له عصا القياس (١) . ولما عين رئيساً على البنائين ، كنت ( رفيقه ) الثالث . ولما عين نجاراً وبناء ملكياً ، كنت أدير أملاكه نيابة عنه . وأجهزت كل شيء على خير ما يرام . وعند تعيينه صديقاً أوحد ، ونجاراً ، وبناء ملكياً في الإدارتين ، أشرفت على حسابات كافة الممتلكات ، وكثرت المقتنيات التي في داره ، وفاقته مقتنيات أى عين من الأعيان . وبعد تعيينه رئيساً لأعمال الإنشاءات كنت أنوب عنه في مختلف الأعمال بما يرضيه ، فأشرفت على إدارة أملاكه الجنائزية على امتداد عشرين سنة ( .. ) . وعينني صاحب الجلالة مديراً .. وعملت بما يرضى جلالتك في الوجه القبلى وفي

---

\* سجل نخبو هذا النص في مقبرته في الهيزة ( المترجم ) .

الوجه البحري . وكلفني جلالته بمتابعة ( أعمال ) مقصوده الجنائزية في الدلتا ( ... ) ، كما كلفني بتحديد مسار قناة حورس بخميس ، وأشرفت على أعمال حفرها . وأنجزت المهمة في ظرف ثلاثة ... ( ١ ) ، حتى اتكن من العودة إلى المقر الملكي قبل انحصار المياه ( .. ) " .  
( نقلاً عن النص الفرنسي )

A. Roccati , O.C., ( P. 182 - 186 )

أتم " نخبو " تدريبه كبناء وكنجار في صحبة أخيه ، ثم تولى إدارة ممتلكات أخيه الذي تعلم عليه الإشراف عليها بنفسه ، إذ شغلته عنها أعباء وظيفته . ثم سار على هدى أخيه ، وسلك الدرب الذي سلكه ، فتدرج في السلم الوظيفي درجة درجة . وامتدت إنشأاته لتشمل المبانى وأعمال التجارة وشق القنوات . ومن المسلم به أنه يحيط ترقيته بهالة من التفخيم والتعظيم . ولكن إذا وضعناها في الإطار العائلي الذي يتحدث عنه لا تضح أن هذه الترقية لا تنطوي على أى ارتقاء على الصعيد الاجتماعي . صحيح أن " نخبو " قد بدأ حياته كبناء عادي ، غير أنه لم يكن مجرد أجير بسيط يعيش من عمله .

حقاً أن الأسرة تلعب دوراً حيوياً في توجيه الصغار الذين يبدوون تدريبهم منذ نعومة أظفارهم ، حتى إذا بلغوا سن الشباب لقنهم الآباء أو الأخوة مبادئ مهنتهم وأصولها ، ولا ينتقل للعمل إلى مكان آخر إلا الذين لا يجدوا عملاً في نفس المؤسسة أو نفس الورشة التي يعمل فيها ذورهم .

إن السير الذاتية التي كشف عنها نقوش أو رسوم أهم المقابر وأرقاها شأناً لا تخص على وجه التحديد الطبقة الميسورة . وليس لنا أن نتوقع من هذا الفن الأدبي أن يلقى الضوء على أدنى الطبقات الشعبية .



وغالباً ما تكتفى المنشآت التي خلفتها هذه الطبقات بالإشارة إلى المهنة التي زارلوها هم وذورهم . وفي الحالات الاستثنائية بصورون وهم يارسون فنونهم . وقد شاع ظهورهم دون ذكر لأسمائهم وسط زملائهم في العمل عند تصوير أعمال الإنشاءات والورش في مقبرة الموظف الكبير المكلف بالإشراف عليها . وإذا كان في إمكاننا تصور النشاط اليومي لأحد العمال ، فالفضل في ذلك يرجع إلى سجلات المحفوظات . ولكن هذا التصور قاصر على مجتمع عمال الجبانه الذين استخدمهم ملوك الدولة الحديثة لنقر و زخرفة مقابرهم الصخرية برادى الملوك غربى طيبة .

إنهم عمال بسطاء ، فرؤساؤهم الكتبه يخلفون آباءهم في وظائفهم ، فقد كانوا مثلهم عمالاً قبل أن يصبحوا رؤساء عليهم . وقد استقرت هذه العائلات في هذه الأعمال التي كانت تدر أجراً مجزياً بالمقارنة مع الجهد المبذول ، أو بالثبات العمالية الأخرى التي أتى لنا تاريخ مصر عنها ما يكفى من الوثائق لعقد مقارنات موضوعية . فلنستبعد أيام الأعياد التي تنتقل فيها فرق العمل بكاملها ، نساءها وأطفالها ، إلى طريق الموكب حيث يشاهدون القارب المقدس والموظفين الذين حضروا خصيصاً احتفاءً بهذه المناسبة ، ولنستبعد أيضاً تلك الأيام المحددة لاحتفالاتهم الدينية ، والأيام التي تحظى فيها مواقع العمل بشرف زيارة الوزير ، أو الأيام التي يودع فيها الجميع أحد زملائهم إلى مشراه الأخير ، أو الأيام التي يقررون فيها الإضراب عن العمل ، أو الإعتصام بمواقع العمل ، أو الخروج في مظاهرات حول المعاهد الجنائزية في البر الغربى عندما يتأخر تسليمهم حصص القمح والشعير ، أكثر مما يحتملونه .

ولنأخذ كمثال يوماً من أيام العمل العادية . لقد حضر الملك أو وزيره إلى الجبانه الملكية لاختيار أنسب المواقع وأفضلها لإعداد المقبرة . ثم تتولى لجنة من الأعيان ورؤساء فريق العمل وضع تصميم المقبرة . لقد

انتهوا لتروهم من نحت العديد من الدهاليز والحجرات بالاستعانة بنصف فريق العمل فحسب . وهكذا أصبح المكان جاهزاً لعمل أصحاب التخصصات المختلفة ، وبيارح العمال تربتهم مع مطلع الفجر ، ليستمر عملهم على امتداد ثماني ساعات ، فيتسلقون الطريق المختصر الذي يتودهم إلى الهضبة الجيرية عند المر المشرف على وادي الملوك ، ويتركون وجبة خفيفة في الأكواخ المبنية من الذهب التي أعدها على عجل ليأووا إليها إذا اقتضت الظروف عدم العودة إلى القرية . ويدلقون عبر الدرب شديد الانحدار والموصل إلى موقع العمل . ويتبادل البوابون معهم تحية قاترة . لقد قاموا على حراسة الحجرات المحصنة حيث توضع الأدوات الضرورية لزخرفة جدران المقبرة ، ويستفسرون عن وردية العمال ، وقد تبدأ على الفور مناداة العمال بأسمائهم للتحقق من حضورهم . أما إذا انشغل الكاتب ببعض الأعمال فتزجل المناداة إلى وقت لاحق . إن عدد العمال على ما يبدو ضئيل هذا الصباح . لقد توجهه " آمون نخت " في صحبة " پاشد " إلى أحد الوديان لإحضار الجص اللازم لإعداد الملاط لترميم عيوب الصخر في المقبرة . كما غاب " نفروربت " لوقت قصير ليروي ظمأه ، وقد تغيب " سن نجم " و " رعموزا " لقيامهما بواجب زيارة عمهما المريض مرضاً خطيراً بإحدى القرى المجاورة . أما " پارح مسو " ، فينتظر مولسوداً جديداً ، ويعالـسـج " أمنحوتب " الإلتهاب الذي أصاب عينه " پاخرو " . أما " ناخي " وزميله " قن حرخشف " فقد لدغهما عقرب . ويتولى " أن حرخمو " إعداد الجمعة بمعاونة المدعو " قنا " استعداداً لعيد " مروت سجر " \* إلهة قمة مرتفعات طيبة . وفي المجموع فقد تغيب اثنا عشر عاملاً من بين ستين . لا بأس ! فالقياب في حدود المعقول والمقبول .

---

\* هي الإلهة الحامية للحيانة وقد عبدت في لغوى الأقصر . وهي أحياناً تمثل على هيئة ثعبان الكوبرا أو على شكل امرأة ذات رأس بشري أو رأس ثعبان ( المراجع ) .

قبل تسجيل مستوى الفيضان الذي تتوقف عليه وفرة المحاصيل . ويوزع الملوك جل اهتمامهم بين المظاهر الرمزية للنظام الملكي وعلامات الورع والتقوى وبين إدارة اقتصاد البلاد والدفاع عن حدود المملكة . ويتم تسجيل المراسيم والمخططات المعبرة عن الإرادة الملكية على النصب أو اللوحات الحجرية ، وعلى جدران مقابر رجال البلاط . ويلاحظ أن زوسر ونب كاوو ، وملوك الأسرة الرابعة سنفرو وخوفو وخفرع ، صاروا أبطال القصص الأدبية ، وكانوا يسمون وراء المتع الذهبية بدرجات متفاوتة . إن نبؤات نفرتي والتي تم تأليفها في زمن لاحق ، وفي عهد الدولة الوسطى بالتحديد ، تقدم عرضاً لأصول السلوك المتحضر في البلاط الملكي :

" في أيام صاحب الجلالة الملك البار سنفرو - له الحياة والرفاهية والصحة \* - الذي اشتهر بكرمه في طول البلاد وعرضها ، حدث ذات يوم والملك جالس في قصره أن دخل عليه موظفو البلاط لتقديم فروض الطاعة والولاء ، ثم انصرفوا حسبما اعتادوا كل يوم . وهم جلالته - له الحياة والرفاهية والصحة - فقال لأمين خزانة المملكة الواقف بجسواره : " هيا ، استدع موظفي البلاط الذين انصرفوا لتوهم بعد أن قدموا فروض الطاعة " ، ومثل الموظفون ثانية بين يدي الملك . " وانبطحوا ثانية على الأرض في حضرة الملك ... "

( نقلاً عن الترجمة الفرنسية للنص المصري القديم :

G. Lefebvre : Romans et Contes `egyptiens, Paris , 1949 , P. 96 - 97 . )

---

\* عبارات تقرر عادة بأسماء الملوك وكل من كرمه الآلهة .

أما قصة سنوحى - فتتوخى مزيداً من الدقة عندما تصور أحداثاً  
معاصرة للأسرة الثانية عشرة :

حضر عشرة رجال، وانصرف عشرة رجال . ورافقونى إلى القصر .  
ولست بجهتى الأرض بين تماثيل أبى الهول . وكان الأبناء الملكيون فى  
انتظارى عند المدخل لاستقبالى . أما أصدقاء الملك الذين سبقونى إلى  
البهو الملكى فقد أرشدونى إلى الجناح الملكى الخاص ، حيث وجدت  
جلالته جالساً فى المحراب ، على عرش من الألكتروم \* . فانبطحت  
أرضاً على بطنى ، وغبت عن وعى .. "

( نقلاً عن الترجمة الفرنسية للنص المصرى القديم

G. Lefebvre , O.C., P. 21 )

عرفت الأسرة الثانية عشرة منذ الأجيال اللاحقة بفطنة ملوكها ، وبما  
محلوا به من خصال حميدة . ونسبوا إليهم الفضل فى تأليف أسفار فى  
الحكم . وسواء أكان ذلك حقيقة أم من نسج الخيال ، فقد ساد الاعتقاد  
أن كل ملك يؤلف سفيراً من هذه الأسفار كان يورثه لخليفته ، ثم يتواتر  
السفر عبر الأجيال من بعده .

إن الصورة التى تركها لنا ملوك الدولة الحديثة عن أنفسهم فتمثل  
القادة العسكريين الذين كللت هاماتهم بالأمجاد ، والذين يقودون قواتهم  
من نصر إلى نصر . فنراهم وهم يقدمون إلى الآلهة ثروات البلاد  
المتوحة ، أو يتقبلون الجزية من زعماء الدول المجاورة المغلوبة ، أو  
يوزعون الهدايا السخية على أفضل خدام الدولة فى احتفالات مهيبه .

---

\* الإلكتروم : الإسم الذى أطلقه اليونانيون على سبيكة من الذهب والفضة  
( المتجم ) .

كان الكثير منهم مشرّعين ، فاشتهر حورمحب وستى الأول ورمسيس الثاني بإصلاحاتهم . وذاعت شهرة أمنحوتب الرابع بفضل تصوراته ذات النزعة الطبيعية والتي تركت أثراً عظيماً في مفاهيم الفن والأدب في نهاية الأسرة الثامنة عشرة .

\*

\* \*

يرتبط منصب الوزير وكبار الموظفين ارتباطاً وثيقاً بمكانة الملك في إسطار حكومة البلاد . ولذا ، وبسبب افتقارنا إلى التراجم الذاتية الدقيقة ، يتعذر علينا في المعتاد تحديد مسئولية كل منهم تحديداً واضحاً . فمَنصب الوزير يقابل منصب رئيس الوزراء في العصر الراهن ، أي أنه كان رئيس الجهاز التنفيذي . إن وجود هذا المنصب أمر مؤكد منذ مطلع الأسرة الراهنة ، بيد أنه لا يمكن استبعاد وجوده قبل ذلك العصر . وأثناء الدولة الحديثة تزايدت مهام الوزير حتى أثقلت كاهله ، فظهر منصب وزير الوجه البحري إلى جانب وزير الوجه القبلي . وكانت مسئولية الوزير هي تسيير الأمور في أرجاء المملكة . كان عاهل البلاد يختار الوزير من بين أقرب المقربين إليه ، بل ومن بين أفراد أسرته . ولقد وصلتنا العديد من التراجم الذاتية التي تمتدح كفاءة الوزراء المتوفين ومآثرهم . وكانت مقبرة \* رخمى ربح \* \* ، معاون تحوتمس الثالث وخلفائه ، هي المقبرة الوحيدة التي احتفظت بمشاهد اعتلاء الملك عرش البلاد ، وإلقاء خطابه بهذه المناسبة ، وقد فصل الخطاب وأجيات الوزير الذي يشغل الوظيفة الأولى في الدولة ، مع تصوير مختلف الأنشطة التي يشرف عليها ، وتدوين كافة الشروح اللازمة .

---

\* وهو صاحب المقبرة رقم ١٠٠ في الحوزة العليا بجهانة شيخ عبد القرنة بطيبة الغربية ، وكان رخمى ربح حاكماً لمدينة طيبة وتولى الوزارة في أواخر أيام تحوتمس الثالث والسنوات المبكرة من حكم ابنه أمنحوتب الثاني ( المترجم ) .

وتجري لقاءات الوزير اليومية مع كبار المسؤولين في الدولة في مكتبه عندما يكون في العاصمة . وهذه المقابلات تسير وفقاً لتقليد ثابت لا يتغير :

\* فيجلس ( الوزير ) على مقعده وفوقه وسادة ، بينما الأرض مغطاة بالحصير ، وفوق رأسه مظلة ، وتحت قدميه وسادة أخرى ، ويمسك بعضاً في يده . وتصف أمامه مفتوحه قراطيس الرق الأربعة ، ويقف أعضاء \* مجلس الشيوخ العشر في الجنوب \* \* على الجانبين وفي مراجعته . أما إلى يمينه فيقف خادمه الخاص ، بينما المشرف على الإيرادات يقف على يساره ، وكتبة الوزير على مقربة منه ، وفي إمكان كل منهم أن يحدث الآخر ( ٢ ) والواقع أن كلاً منهم يقف في المكان المناسب . يستمع الوزير إلى من يحل عليه الدور ، ولا يسمح لآخر أن يتحدث قبل الشخص الذي حلّ عليه الدور .. "

بداية يتسلم الوزير أختام الحجرات المحصنة ويشرف على فتحها . ثم يحاط علماً بالأوضاع في قلاع الشمال والجنوب . وتعرض عليه مصروفات وإيرادات الأملاك الملكية وأراضي المقر الرسمي لعاهل البلاد . ويقدم مدير الشرطة ورؤساء المراكز تقاريرهم إليه ، ثم يتجه إلى القصر الملكي لتقديم فروض الولاء للملك ، ومقابلة مسئول الأختام ، ليتباحث معه في إجراءات الأمن الخاصة بفتح جميع أبواب الأملاك الملكية التي تجرى مرتين في اليوم . وينجز الوزير كل هذه الأعباء في صدر النهار .

---

\* تمتد اختصاصات هذا الجهاز إلى أرجاء البلاد ولا يختص بالجنوب فقط كما قد يرحى بذلك الاسم . ويتكون من كبار الموظفين الساهرين على تنفيذ الإدارة العليا للملك البلاد . ( المترجم ) .

ومن اختصاص الوزير وحده ، محاكمة كبار الموظفين بشأن التهم التي يوجهها إليهم زملاؤهم ، كما يختص بالفصل في الدعاوى الداخلية الخاصة بالأحكام الملكية . كما يحق لأي موظف ، سواء أرفعهم مرتبة أو أقلهم شأنًا ، أن يمثل بين يديه طالباً النصيح والإرشاد . وهو يقوم بتسجيل الهبات وعقود البيع أو القسمة ، ويفحص العرائض والمظالم الخاصة باستثمار الأرض ، ويأمر بقطع الأشجار في أملاك الملك عند الضرورة ، ويقرر بناء السدود ، ويقف على أوضاع شبكة الري في البلاد ، ويسهر على حسن توزيع المياه على الحقول والمزارع ، ويصدر التعليمات إلى حكام الأقاليم ورؤساء الأملاك في أوقات الحصاد . وهو الذي يحدد الدوائر الزراعية والمراعى في كل إقليم ، كما يتولى الإعلان عن قدوم الفيضان وبدء السنة الجديدة بعد أن يستطلع شروق نجم الشعرى اليمانية . وفي احتفال ضخم مهيب ، يتقدم الرسل القادمون من أرجاء البلاد إليه لتسليم الضرائب ، ويمثل بين يديه دافعوا الجزية من أنحاء الإمبراطورية . وهو الذي يعين الموظفين وينظم تجنيد قوات الحرس الملكي ، ويرسل المندوبين إلى المسئولين المحليين لتنفيذ المراسيم الملكية وإبلاغ تعليماته إلى أركان حرب الجيش .

وما لا شك فيه ، أن الوزير غير مكلف يومياً بمعالجة كل هذه القضايا أو إنجاز جميع هذه المهام ، إنما هي موزعة على مدار السنة ، وكل ما قصدناه هو تقديم عرض موجز بالمسئوليات التي كان يضطلع بها الوزير رخصي رع . ومن المشاهد الأخرى بمقبرته نراه في جولة تفقديه في مخازن أملاك أمون وورشه . ومن ناحية أخرى ، نعرف أنه كان المسئول شخصياً عن إعداد مقبرة عاهل البلاد ومتابعة تقدم العمل في الإنشاءات الملكية الكبرى . كما يحضر الاحتفالات الملكية العظيمة ويشارك في الأعياد الدينية وما شابه ذلك . ومن هنا نشأت الحاجة إلى جهاز إداري ضخم متعدد الاختصاصات ليعاون الوزير في أعبائه الضخمة .

## ٣ - الموظفون

من غير الوارد هنا أن نتناول ولو بشكل مقتضب أمثلة مختارة لأكثر الوظائف تمثيلاً للجهاز الإدارى فى العاصمة أو فى الأقاليم .  
وحسبنا أن نعطي الكلمة ولو لبرهة وجيزة لأحد كبار موظفى الأسرة السادسة الذى وصل فى سلم الترقى إلى منصب حاكم إقليم وحاكم الجنوب ، ثم نتناول بالبحث وظيفته الكاتب المصرى ، أحد ركائز الجهاز الإدارى ، فندرس ولو بشكل جزئى المهام التى كانت ملقاة على عاتق هذا الموظف العام . لقد بلغت هذه الوظيفة درجة فائقة من التنظيم الذى حماها من التقلبات والأزمات التى لحقت بالنظام الملكى ، وظلت صامدة أمام الغزوات الكاسحة .

سبق أن أشرنا إلى " ونى " كبير موظفى القصر ، عند الحديث عن المسئوليات الجسام التى كلفه بها پيى الأول \* حين نصبه على رأس جيشه . ويروى لنا " ونى " كيف ارتقى درجات السلم الوظيفى ، كما يبرز أهم مراحل حياته الوظيفية قائلاً :

" عندما كنت غلاماً ما يزال يتمنطق بالزغار ، شغلت وظيفة رئيس مخزن فى عهد صاحب الجلالة تيسى . ثم عينت كبيراً لموظفى البيت الكبير ( ... ) ثم كاهناً مرتلاً وكاهناً أول بالقصر الأزلى ، فى عهد صاحب الجلالة پيى . ثم وقانى جلالتى إلى منصب الصديق وكبير كهنة مدينة هرمه ( ... وعينتى جلالتى ) قاضياً فى مدينة نخن \*\* إذ كنت

---

\* پيى الأول هو ثانى ملوك الأسرة السادسة وأحد ملوكها العظام . ( المترجم )  
\*\* قامت على أطلال نخن القديمة قرية الكوم الأحمر الحالية ، شمال أدفسر ( المراجع ) .



محل ثقته ، فاشتركت بمفردي مع الوزير في الفصل في القضايا الخاصة  
بشؤون الملك والحريم الملكي ومحكمة الستة ( ... ) وعندما كنت قاضياً  
في مدينة نخن عينى جلالة صديقاً أوحده وكبيراً لموظفى البيت  
الكبير . وجرت محاكمة سرية في الحريم الملكي للزوجة الملكية وصاحبة  
الخطوة الكبرى ، وكلفنى صاحب الجلالة بالفصل فى القضية وحدى ،  
دون معاونة قاضى أو وزير أو عين من الأعيان ... بل حكمت فيها  
بمفردي \* ( ... ) .

وهنا نصل إلى الفترة التى سبق الاستشهاد بها ( ص ٢٤ - ٢٧ )  
فقد خرج " ونى " على رأس الجيش الذى تم تجنيده لصد الغزاة القادمين  
من آسيا . ونظراً لنجاحه كلفه ييوى الأول خمس مرات على التوالى  
بإعداد القرات اللازمة لمحاربة نفس الأعداء ، فقاد قواته إلى النصر  
الحاسم . وعند عودته إلى البلاط الملكي كانت فى انتظاره مهام جديدة  
جسام :

وإذ كنت مشرفاً بالقصر الملكي وحامل النعال ، قسام سيدى ، مرى  
ان ريع \*\* . ملك الوجه القبلى والوجه البحرى - فليحيا إلى الأبد -  
وعينى حاكماً مشرفاً على الوجه القبلى فى جنوبى " إلفنتين " \*\*\*

---

\* تخلف ييوى الأول من زوجته الملكية وقدمها للمحاكمة لأسباب لا تعرفها . وقد  
عارنه " ونى " فى تنفيذ رغبته فنال الثقة الفاليسية . ( المراجع ) .  
\*\* ابن ييوى الأول وهو أحد ملوك الأسرة السادسة العظام وقد مات فى سن  
مبكرة ( المراجع ) .  
\*\*\* إلفنتين أو جزيرة أسران وكان أسسها أيام القراعنة \* أبو \* ومعناها مدينة  
الفيل ( المترجم ) .

وحتى شمال أظفيع \* ( ... ) والمجزت كل ما كلفت به من أعمال . وقمت مرتين بجرد جميع أملاك المقر الملكي في صعيد مصر ، وكانت بحاجة إلى الجرد . كما قمت أيضاً بحصر جميع الوظائف التابعة للمقر الملكي والتي كانت بحاجة إلى حصر . وشكلت هيئة إدارية لذلك ، فكان نجاحاً باهراً في صعيد مصر ( ... ) وأرسلني صاحب الجلالة إلى " إيهيت " \*\* لإحضار تاهوت الأحياء أو " رب الحياة " بغطائه والهرم النفيس الجليل المخصص للهرم المسمى " مري أن رع يشرق في كماله " . كما أرسلني صاحب الجلالة إلى الفتين لإحضار الباب الوهمي وعتبة الباب والعتب العلوي والمتارس ، وكلها من الجرانيت ، إلى جانب الأبواب والبلاط الجرانيتي اللازم للحجرة العلوية لهرم " مري أن رع يشرق في كماله " . وأبحرت شمالاً ، قاصداً هرم " مري أن رع يشرق في كماله " على رأس أسطول من السفن يضم ستة صنادل وثلاث سفن مسطحة ذات شراع مربع وثلاثة مراكب . كما أرسلني صاحب الجلالة إلى " حتروب " \*\*\* لإحضار مائدة ضخمة من الألبستر الذي تشتهر به هذه المنطقة . كما أرسلني صاحب الجلالة لشق خمس قننوات في صعيد مصر \*\*\*\* كما ذهبت إلى " واوات " حيث خشب السنط، لصناعة ثلاثة قوارب وأربع سفن مسطحة ذات شراع مربع " وقد قام الأمراء الأجانب في كل من إرتت وواوات وإيام ومدجا بتقديم الأخشاب اللازمة . " ( النص الفرنسي نقلاً عن

\* أظفيع ، كانت عاصمة الإقليم ٢٧ من أقاليم الوجد القبلي ، وتقع جنوب مدينة العف . كان اسمها القديم " تپ إى " وتقع في العصر القبطي ، وهو أصل اسمها الحالي ( المترجم ) .  
 \*\* مهاجر إيهيت بالنوبة ( المترجم ) .  
 \*\*\* تقع شرق النيل ، جنوب شرقى تل العمارنة . وتعنى دار الذهب أو قصر الذهب ( المترجم ) .  
 \*\*\*\* عند الهندل الأول لتيسير الملاحة ( المترجم ) .

Rocatti . la Litterature historique Sous l' Ancien Empire , Paris , 1982 . P. 191 - 197 ) .

شغل " ونى " مختلف المناصب على امتداد حياته الوظيفية . فتقلد على التوالي ، أو فى آن واحد ، مناصب إدارية داخل القصر ، أو قضائية فى الأقاليم وذلك فى بداية الأمر ، ثم فى البلاط الملكى . كما تبوأ المناصب العسكرية ، ثم عاد إلى المناصب الإدارية ولكن على صعيد أرقى ، كمعاون مباشر للملك ، ووزيره فى صعيد مصر . وأخيراً وقع عليه الاختيار لإعداد مقابر الملوك الأربعة الذين خدم فى عهدهم . وهى مهام لم يكلف بها إلا من تحلى بالأمانة ، فقد كان " ونى " أهلاً للثقة الكاملة .

\*

\* \*

يتضمن برنامج تدريب الكاتب مجموعة نصوص دعائية وفماذج خطابات وحسابات . ومع حلول الدولة الحديثة ظهرت مؤلفات مستوحاة من كتاب " هجو المهن " ، مع تطوير الناحية الإبداعية فيه . لقد استهدفت هذه المؤلفات تمجيد مهنة الكاتب من خلال تشبيط همم الشبان المتطلعين إلى اختيار مهن أخرى غير مهنة الكاتب ، والعمل على إحباط مسعى الكتبة الراغبين فى تغيير مهنتهم . وإن إصرار هذه المؤلفات فى عناد على بلوغ هدفها ، ليشير الشكوك والارتياب ، لا سيما لما نلاحظه من إنتشار موضوع أدهى آخر انتشاراً واسعاً ، يتمثل فى خطابات تأنيب وهمية موجهة إلى الكتبة المتكاسلين .

إن الصيغة التقليدية لهذا النوع من الأدب تبدأ بالأمر القاطع :  
" كن كاتباً " ، يلي ذلك قائمة طويلة تبين بالتفصيل المساويء والأضرار  
التي تنتظر كل غلام يرتكب حماقة اختيار مهنة أخرى غير مهنة  
الكاتب . ويدور الحديث حول مختلف المهن التي يمكن أن يتصورها  
عقل ، عدا مهنة الكاتب بالطبع ، وظهرت نسخة منقحة في هذا النوع  
الأدبي ، كانت أكثر فطنة في نقدها . حيث تقف عند حد التأكيد بشكل  
عام على مزايا وظيفة الكاتب لأصحاب التكوين الجسماني الرقيق :  
" كن كاتباً . فبشرتك ناعمة وساعدك يصاب بالإعياء ( بسرعة )  
لا تحترق كما تحترق الشمعة على غرار من تداعت قواهم الجسدية . إن  
عظملك طرى . . أنت طويل ونحيف ، فإذا أقدمت على جر الأحمال أو  
رفعها .. خارت قواك ، إلخ .. "  
بينما تتمحور نصوص أخرى مباشرة حول المزايا المادية لوظيفة الكاتب

وامتيازاتها :

" أقدم لك النصيح والإرشاد على المستوى الذهني وعلى المستوى  
الجسماني ، حتى ( تتمكن ) من الإمساك بلوحة الكتابة بيسر  
وسهولة ، وكى تكتسب ثقة الملك ، فتفتتح أبواب خزائنه ومخازن  
غلاله ، فتتوفر لك إمكانية تقديم القرابين في الأعياد والمواسم . وترتدى  
الملابس الفاخرة وتقتنى الخيول ، بينما يرسو قاربك عند شاطئ النهر .  
وسوف تسير في الطرقات في حماية فرقة من الحرس ، وتتحرك بحرية  
أثناء جولاتك التفتيشية . سوف تقطن داراً جميلة في المدينة ،  
ويختارك عاهل البلاد في منصب مرموق ، ويلتف الخدم والخادومات من  
حولك ، ويتقرب منك العاملون في الريف والحقول التي تشرف على  
استصلاحها ، فيصافحونك وعلامات البشر والسعادة على وجوههم .  
" إنصت إلى . . . إنى جاعل منك موظفاً من موظفى " ملك الحياة ،  
" اتقن ماتنسخه ، فتعفى مسن الضرائب وتصبح قاضياً  
مرموقاً ( ... ) . "

إن وظائف الكاتب متعددة ومتنوعة ، حسب الجهة التي تستخدمه ، سواء كانت قطاعاً عاماً أو قطاعاً خاصاً . فيعمل في إحدى المدن أو ينقل إلى الريف ، أو يقيد على قوة إحدى المؤسسات ، أو يندب للعمل في إحدى الحاميات العسكرية في أطراف البلاد . ورغم ذلك فإن هذه الوظيفة تنطوي عادة على قدر كبير من المسئوليات الجسام التي تضع صاحبها فوق مستوى عامة الناس ، وتفتح أمامه آفاقاً رحبة لمستقبل زاهر باسم . " فالترقى هدف كل منا " ، ولا جدال أن معرفة القراءة والكتابة والإلمام بالحساب والقوانين تعطي صاحبها سلطاناً على الجماهير التي يغلب عليها الجهل والامية . ولا يشترط بالضرورة حتى يصبح المرء كاتباً أن ينتسب إلى عليية القوم في المجتمع المصري . ويكشف لنا فحص الأنساب عن وجود عائلات بأكملها توارثت وظيفة الكاتب . ونذكر على سبيل المثال عائلة الذين سجلوا محفوظات " قبر فرعون الجليل ، العظيم للملايين السنين " في العام السادس عشر من حكم رمسيس الثالث وحتى العام العشرين من حكم أمن إم أوبت \* .

أى ما يقرب من مائة وخمسين سنة تعاقب خلالها على هذا المنصب سبعة أفراد كانت مهمتهم تسجيل العاملين في الوقف الملكي ، ومتابعة سير العمل ، وحصر المواد المرسلة للوقف لاستخدامها في أعمال التشييد ، والآلات ، وكذلك الأجور العينية على هيئة غلال والتي كانت تسلم مع مطلع كل شهر ويجرى تدبيرها بمعرفة الأجهزة المركزية ، كذلك تسجيل المراسيم القضائية الصادرة في قرية دير المدينة . حيث يقطن العاملون ورؤسائهم ، ويواصلون عملهم في هدوء مادامت الحكومة تحافظ على الأمن والاستقرار ، وتضمن رخاءً نسبياً في أرجاء البلاد . ويستعين

---

\* أمن إم أوبت : أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين الذين حكموا في صان الحجر ( تانيس ) ( المترجم ) .

الكاتب بكاتبين آخرين مسئولين عن الجماعات المعاونة ( سمدت ) فى فرق العمال ، وعن الإمدادات اليومية التى تتسلمها هذه الفرق . وكان من صميم اختصاص كاتب الجبانة كتابة المراسلات المرفوعة إلى الوزير أو إلى الملك ، إذا اقتضى الأمر ، أو إلى السلطات الإقليمية . كما كان مسئولاً عن تدوين التقارير وغيرها من وثائق رسمية . فعندما اجتاحت الاضرابات الجماعات العمالية بعد أن تكرر وقف صرف أجورهم العينية ، تولى الكاتب مفاوضة المسئولين . ولما بدأت العصابات المسلحة تجوب الريف ، وتزايدت أعدادها فعانت فى الأرض فساداً ، وعمجزت السلطة المركزية عن التصدى لها لانشغالها بواجبات تقتضيها الضرورة القصوى ، أخذ كاتب الجبانة يحل محل السلطات المركزية فى هذه المهمة ، على الصعيد المحلى فى أول الأمر ، ثم امتد نفوذه ليشمل مناطق بأسرها . فقد لجأ هو وفرقة محدودة ، إلى معبد ومسيح الثالث الجنائزى \* ، واحتسى وراء أسواره المحصنه ، وحول المعبد إلى إدارة مركزية حكومية تشرف على المنطقة بأسرها وكان يباشر أعماله من مكتب جدير بوظائفه الجديدة ، فكان ينتقل إلى القرى والأماكن الواقعة جنوبى البلاد لتحصيل الضرائب اللازمة لتسيير أمور مؤسسات مدينة طيبة وعلى الأخص دفع أجور الموظفين . وقد يختار أحدهم للقيام بمهام جسيمة . فيضطر إلى السفر إلى مصر الوسطى وإلى النوبة جنوباً حيث كان الجيش المصرى يواجه صعوبات فى الدفاع عن الحدود الجنوبية للبلاد . وكان اختياره لهذه المهام يتم رغماً عن أنه حيث أفصح فى مراسلاته عن نفوره من كثرة الأسفار والترحال .

---

\* معبد ومسيح الثالث ، بمدينة هابو ، غربى طيبة ، هو أكبر ما حفظ من المعابد الجنائزية . كما أنه المعبد الوحيد المحصن . وتبلغ مساحته حوالى ٦٤ . ٠٠ م ( ٢٠٠ × ٢٣٠ ) متراً أى أكثر من ١٥ فداناً ( د . محمد أنور شكرى . العمارة فى مصر القديمة ١٩٨٦ . ص ١٢٩ و ٤٢٢ ) ( المترجم ) .

### ٣ - العمال والحرفيون

إن التمييز بين عامل متخصص وحرفي وفنان لا يرتكز إلى وجود مؤسسات تجمع كل فئة على حدة ، وإنما كانت بعض المهن تساعد ، أكثر من غيرها ، على إبراز مهارات أصحابها وقدراتهم . فإن عملوا مثلاً في بلاط الملك ، أو في ورشة أو في الإنشاءات التي تهم الملك بشكل خاص ، تكون فرصتهم في التمييز أكبر وأعظم ، ومن ثم تكون الترقية من نصيبهم مكافأة على اجتهادهم . فنرى " مري پتاح عنخ مري رع " ، المدعو " نخبر " \* ، قد بدأ حياته كبناء عادي ، ليصبح فيما بعد المعمارى المفضل عند بيبي الأول :

" بدأت عملى عند جلالتہ كبناء عادى . ثم عيننى جلالتہ مفتشاً على البنائين ، فمشرقاً عليهم . ثم رئيساً لمجموعة ، ثم رقائى جلالتہ إلى بحار وبناء تابع للملك . ثم عيننى صديقاً أوحده ، وبحاراً وبناء ملكياً فى الإدارتين ( ... ) وعندما ، اصطحبت أخى ، رئيس أعمال الإنشاءات ... كنت أتولى أعمال الكتابة وأحمل لوحة الكتابة . فلما عين أخى مفتشاً على البنائين حملت له عصا القياس ( ٢ ) . ولما عين رئيساً على البنائين ، كنت ( رقيقه ) الثالث . ولما عين بحاراً وبناء ملكياً ، كنت أدير أملاكه نيابة عنه . وأنجزت كل شىء على خير ما برام . وعند تعيينه صديقاً أوحده ، وبحاراً ، وبناء ملكياً فى الإدارتين ، أشرفت على حسابات كافة الممتلكات ، وكثرت المقتنيات التى فى داره ، وفانقت مقتنيات أى عين من الأعيان . وبعد تعيينه رئيساً لأعمال الإنشاءات كنت أتوب عنه فى مختلف الأعمال بما يرضيه ، فأشرفت على إدارة أملاكه الجنائزية على امتداد عشرين سنة ( .. ) . وعيننى صاحب الجلالة مديراً .. وعملت بما يرضى جلالتہ فى الوجه القبلى وفى

\* سجل نخبر هذا النص فى مقبرته فى الجزيرة ( المترجم ) .

الوجه البحري . وكلفني جلالتة بمتابعة ( أعمال ) مقصوده الجنائزية  
في الدلتا ( ... ) ، كما كلفني بتحديد مسار قناة حورس بخميس ،  
وأشرفت على أعمال حفرها . وأنجزت المهمة في ظرف ثلاثة ... ( ٢ ) ،  
حتى اتكن من العودة إلى المقر الملكي قبل انحصار المياه ( .. ) " .  
( نقلاً عن النص الفرنسي )

A. Roccati , O.C., ( P. 182 - 186 )

أتم " نخبو " تدريبه كبناء وكنجار في صحبة أخيه ، ثم تولى إدارة  
ممتلكات أخيه الذي تعذر عليه الإشراف عليها بنفسه ، إذ شغلته عنها  
أعباء وظيفته . ثم سار على هدى أخيه ، وسلك الدرب الذي سلكه ،  
فتدرج في السلم الوظيفي درجة درجة . وامتدت إنشاءاته لتشمل المياني  
وأعمال النجارة وشق القنوات . ومن المسلم به أنه يحيط ترقيته بهالة من  
التفخيم والتعظيم . ولكن إذا وضعناها في الإطار العائلي الذي يتحدث  
عنه لاتضح أن هذه الترقية لا تنطوي على أي ارتقاء على الصعيد  
الاجتماعي . صحيح أن " نخبو " قد بدأ حياته كبناء عادي ، غير أنه  
لم يكن مجرد أجير بسيط يعيش من عمله .

حقاً أن الأسرة تلعب دوراً حيوياً في توجيه الصغار الذين يبدوون  
تدريبهم منذ نعومة أظافرهم ، حتى إذا بلغوا سن الشباب لقنهم الآباء أو  
الأخوة مبادئ مهنتهم وأصولها ، ولا ينتقل للعمل إلى مكان آخر إلا  
الذين لا يجدوا عملاً في نفس المؤسسة أو نفس الورشة التي يعمل فيها  
ذوهم .

إن السير الذاتية التي كشف عنها نقوش أو رسوم أهم المقابر وأرقاها  
شأناً لا تخص على وجه التحديد الطبقة الميسورة . وليس لنا أن نتوقع  
من هذا الفن الأدبي أن يلتقي الضوء على أدنى الطبقات الشعبية .



وغالبا ما تكتفى المنشآت التي خلفتها هذه الطبقات بالإشارة إلى المهن التي زاولوها هم وذوهم . وفي الحالات الاستثنائية بصورون وهم يارسون فنونهم . وقد شاع ظهورهم دون ذكر لأسمائهم وسط زملائهم في العمل عند تصوير أعمال الإنشآت والورش في مقبرة الموظف الكبير المكلف بالإشراف عليها . وإذا كان في إمكاننا تصور النشاط اليومي لأحد العمال ، فالفضل في ذلك يرجع إلى سجلات المحفوظات . ولكن هذا التصور قاصر على مجتمع عمال الجبانة الذين استخدمهم ملوك الدولة الحديثة لنقر وزخرفة مقابرهم الصخرية بوادي الملوك غربى طيبة .

إنهم عمال بسطاء ، فرؤساؤهم الكتبة يخلفون آباءهم في وظائفهم ، فقد كانوا مثلهم عمالاً قبل أن يصبحوا رؤساء عليهم . وقد استقرت هذه العائلات في هذه الأعمال التي كانت تدر أجراً مجزياً بالمقارنة مع الجهد المبذول ، أو بالعثات العمالية الأخرى التي أبقى لنا تاريخ مصر عنها ما يكفى من الوثائق لعقد مقارنات موضوعية . فلنستبعد أيام الأعياد التي تنتقل فيها فرق العمل بكاملها ، نساؤها وأطفالها ، إلى طريق الموكب حيث يشاهدون القارب المقدس والموظفين الذين حضروا خصيصاً احتفاءً بهذه المناسبة ، ولنستبعد أيضاً تلك الأيام المحددة لاحتفالاتهم الدينية ، والأيام التي تحظى فيها مواقع العمل بشرف زيارة الوزير ، أو الأيام التي يودع فيها الجميع أحد زملائهم إلى مشواه الأخير ، أو الأيام التي يقررون فيها الإضراب عن العمل ، أو الإعتصام بمواقع العمل ، أو الخروج في مظاهرات حول المعاهد الجنائزية في البر الغربي عندما يتأخر تسليمهم حصص القمح والشعير ، أكثر مما يحتملونه .

ولنأخذ كمثال يوماً من أيام العمل العادية . لقد حضر الملك أو وزيره إلى الجبانة الملكية لإختيار أنسب المواقع وأفضلها لإعداد المقبرة . ثم تتولى لجنة من الأعيان ورؤساء فريق العمل وضع تصميم المقبرة . لقد

انتهروا لتوهم من نحت العديد من الدهاليز والحجرات بالاستعانة بنصف فريق العمل فحسب . وهكذا أصبح المكان جاهزاً لعمل أصحاب التخصصات المختلفة ، وبارح العمال قريتهم مع مطلع الفجر ، ليستمر عملهم على امتداد ثماني ساعات ، فيتسلقون الطريق المختصر الذي يقودهم إلى الهضبة الجيرية عند المر المشرف على وادي الملوك ، ويتركون وجبة خفيفة في الأكواخ المبنية من الدبش التي أعدها على عجل ليأووا إليها إذا اقتضت الظروف عدم العودة إلى القرية . ويدلفون عبر الدرب شديد الانحدار والموصل إلى موقع العمل . ويتبادل البوابون معهم تحية فاترة . لقد قاموا على حراسة الحجرات المحصنة حيث توضع الأدوات الضرورية لخرقة جدران المقبرة ، ويستفسرون عن وردية العمال ، وقد تبدأ على الفور مناداة العمال بأسمائهم للتحقق من حضورهم . أما إذا انشغل الكاتب ببعض الأعمال فتزجج المناداة إلى وقت لاحق . إن عدد العمال على ما يبدو ضئيل هذا الصباح . لقد توجهه " أمون نخت " في صحبة " باشد " إلى أحد الوديان لإحضار الجص اللازم لإعداد الملاط لترميم عيوب الصخر في المقبرة . كما غاب " نفررتيت " لوقت قصير ليروى ظمأه ، وقد تغيب " سن نجم " و " رعموذا " لقيامهما بواجب زيارة عمهما المريض مرضاً خطيراً بإحدى القرى المجاورة . أما " پارح مسو " ، فينتظر مولوداً جديداً ، ويعالسهج " أمنحوتب " الإلتهاب الذي أصاب عينه " پاخرو " . أما " ناخي " وزميله " قن حرخيشف " فقد لدغهما عقرب . ويتولى " أن حر خمو " إعداد الجمعة بمعاونة المدعو " قنا " استعداداً لعيد " مرت سجر " \* إلهة قمة مرتفعات طيبة . وفي المجموع فقد تغيب اثنا عشر عاملاً من بين ستين . لا بأس ! فالغياب في حدود المعقول والمقبول .

---

\* هي الإلهة الحامية للحيانة وقد عبدت في غرب الأناضول . وهي أحياناً تمثل على هيئة ثعبان الكوبرا أو على شكل امرأة ذات رأس بشري أو رأس ثعبان ( المراجع ) .

ويحضر العمال الغرائر التي ستستخدم لرفع الردم والأنقاض ، كما يحضرون فتيل السُرج التي يستهلك موقع العمل منها كميات متزايدة كلما تقدم العمل واشتدت العتمة والظلمة عبر المكان . ويستخرج كل عامل أدوات عمله ، ويتحقق من حالتها وقد انتابه قدر من القلق . فعليه إعادة الأدوات بعد إنتهاء العمل وتسليمها إلى الكاتب الذي سيوازن بينها وبين حجر يستخدم كوزن وسجلت عليه جميع البيانات اللازمة لإحكام المضاهاة والرقابة عند التسليم . وأخيراً يصل العمال الحاضرون قرب أماكن عملهم . لقد قاربت أعمال النحت في أحد الجدران على الانتهاء ، ويمكن البدء في عملية التلوين . كان الرسامون قد توجهوا بالأمس إلى جبل قريب لإحضار المواد التي تستخدم في التلوين . واليوم بصحنوها جيداً ثم يحلونها ، وقبلتهم بنهمك نحات بكل براعة ولحن لإبراز ملامح أشخاص بأزميله النحاسي . وتتم عملية الحفر هذه بعد أن قام رسام يرسم الشخص بالمغرة الحمراء . ويتولى معلمه ورئيس فريق العمل استبدالها باللون الأسود . ويتصاعد ضجيج المعاول البرونزية في المرات التي تهبط إلى جوف الجبل وهي ترتطم بالصخور التي تتطاير شظاياها ، فيجمعها الصبية في الغرائر ليفرغوها في الخارج . وعلى مقربة من الباب يبذل رسام آخر محاولات لرسم بعض العناصر المكونة لمشهد جنائزي ، وسوف ينقل هذا المشهد بعد تكبيره على جدار يجرى إعداده . لقد احتفظ الرسام بأكثر الشظايا استواء ليرسم عليها بفرشاته بعض التكوينات الفنية . ويجواره يتلرب إبنه وابن أخيه على شخبطة تحاكي رسوماته . أما الكاتب فقد أعد لنفسه مكاناً مريحاً بين حنيات الصخر يلجأ إليه بعيداً عن صخب العمل والعمال ، ويسجل على شظايا الحجر الجيري ملاحظات حول سير العمل في الموقع ، وسوف ينسخها فيما بعد في يوميات الجبانة . وخلال النهار ، ينقطع عن العمل برهة ليتسلم فتائل مجدولة ، وزيت السرج ، وبعد بيانات تفصيلية عنها .

وعند الظهيرة يتوقف العمل ، ويباح الرجال موقع العمل بعد أن لازموا فترة ، وتطرف أعينهم من شدة الضوء الذي يغمرهم من كل ناحية في هذا الوادي الصحراوي المتوهج الحرارة . ثم ينصرفون جماعات جماعات ، فيتجه بعضهم إلى استراحة الوادي ، أما الآخرون الذين يفضلون العزلة فيتجهون إلى الملاهي التي اختاروها ، حيث تركوا لنا أسماهم محفورة ، ويتناولون شيئاً من الطعام ، ويحصلون على قسط من الراحة ، ثم يعودون إلى موقع العمل للإنتهاء من العمل اليومي المكلفين به . ويتناوب مسئولان من كل جانب من فريق العمل مهمة الذهاب إلى القرية ، فيشتركان مع الكاتبين المختصين في استلام المشتريات عند وصول متعهدي السمك والخضروات الذين يزودون القرية بالمنتجات الطازجة . وفي بعض الأيام يتفرغ الرجال المسئولون عن الخدمة يوماً كاملاً لاستلام السلع الغذائية ، وتوزيعها على أهالي القرية ، وذلك طبقاً لنظام صارم يشرف عليه الكتبة الذين يسجلون كل صغيرة وكبيرة تجنباً للشكاوى التي تظهر بسهولة في هذا المجتمع المعزول . وفي حالة اشتداد النزاع أو تقديم المظالم إلى الرؤساء ، تنعقد محكمة تتشكل من رجال الجماعة أو من نساؤها في بعض الظروف ، وتصدر حكمها . وإذا لم ترض الأطراف المعنية بحكمها ، أو إذا لم يُنفذ الحكم ، يقرر الجميع استجلاء الوحي \* ، من الملك المؤله امنحوتب الأول \*\* ، راعسى

---

\* اعتقد المصري أن المعبودات تشارك في تقرير مصيره وتوجيهه في أعماله .  
وزراه يعقد العزم على كشف ما قرره بصدده وتنصحه بمصلحه .  
( أدولف ارمان ديانة مصر القديمة : ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر و د. محمد أنور شكرى ص ١٧٤ ) ( المترجم ) .  
\*\* امنحوتب الأول هو ابن أحسن تاجر الهكسوس وقد آله هو وأمه الملكة أحسن نفرتاري في تحريم طيبة . واعتبرا حماة لسمال الجبانة ، واستمرت عبادتهما لقرون طويلة ( المراجع ) .

القربة وحاميتها . أما الدعاوى التي تتجاوز حدود القربة ، فتختص بها محاكم المقاطعة ذات السلطات الأوسع ، ومثال ذلك سرقات المقابر الملكية المشهورة في أواخر عصر الرعامسة والتي اتهم فيها عمال الجبانة عدة مرات .

ولا تستغرق عملية شق شبكة المعرات وحجرات المقبرة في جوف الجبل الصخري أكثر من سنتين ، ثم يستكمل النحاتون والرسامون والمصورون العمل في المقبرة ، وتنتهي زخارف المقبرة بدورها بعد سنتين آخرين . ولما كانت مدة حكم بعض الملوك قصيرة ، فقد تتابعت مواقع العمل في إيقاع متسارع ، ولذا بقيت العديد من المقابر ناقصة لم تستكمل ، كان عدد أفراد كل فريق عمل يتراوح بين أربعين وستين فرداً في المعتاد ، وإذا لزم الأمر يتم تعزيز فريق العمل بعدد إضافي من الأفراد ، ويتضاعف عددهم في بعض الأحيان . ولا يمكن القول على كل حال ، أن إيقاع سير العمل كان إيقاعاً جهنمياً ، نظراً لكثرة التغيب على المستويين الفردي والجماعي معاً ، وكثرة الأعمال التي ينفذها العمال لحسابهم الخاص ، كالتماثيل والتوابيت الملونة وكتب الموتى\* وخلافه ... صحيح أن الفرق التي لا عمل لها كانت تستخدم أحياناً في أعمال حرفية في المنطقة ، ولكن الأعمال الإضافية كانت مصدرًا لمكافآت إضافية .

---

\* ظهر ابتداءً من الأسرة ١٨ ( ١٥٨٠ ق . م ) وهو يتكون من نصوص دينية جائرة كتب تارة على الوردى وأخرى على الرق ويوضع أحياناً على المرمية مباشرة وأخرى يحفظ في صندوق مستقل ويودع القبر. ويتكون \* كتاب الموتى \* من ١٤٠ نصلاً ويتناز بالصود التوضيحية . ( المراجع ) .

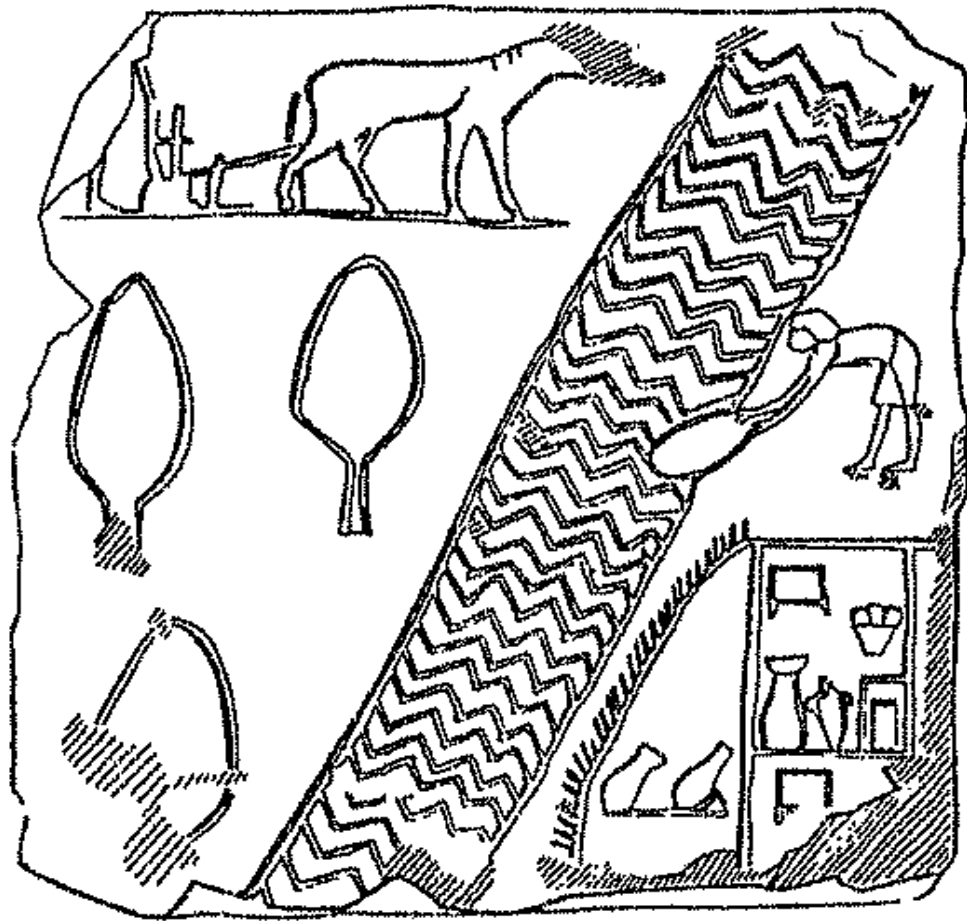
## ٤ - الفلاحون

يعانى عالم الفلاحين فى مصر الفرعونية تناقضاً غريباً : يتصدر المواضع الجنائزية عندما تتعرض لعالم الأحياء ، ورغم ذلك يظل هامشياً فى اقتصاد يعتمد أساساً على الزراعة . وتجسد مشاهد المقابر سلسلة طويلة من مناظر الفلاحة والحصاد وتربية الماشية . وتتتابع مشاهد الحقول ، ففى أحدها نرى الرجال يدفعون المحراث الذى تسحبه بقرتان . وفى مشهد آخر يبذر الفلاحون البلور فتدوسها الحمير كى تخترق التربة وتدفن فيها أو يجنون الكتان ويقتلعون البصل . أما الحقول المزروعة بمختلف الخضروات والزهور لتتعامد عليها قنوات الري لتشكل شبكة منتظمة ، ويقوم الفلاحون برىها بعناية فائقة . وفى البساتين تمتد صفوف النخيل و صفوف أشجار الفاكهة . ويتسلق الكروم العرائش . وفى شمال البلاد تشكل البرك والمستنقعات بيئة صالحة لتربية الأبقار التى يقتادها حارسها إلى حيث المراعى ، فيحبر بها قنوات الصرف التى تعج بالأسمك . وعلى مقربة من الشاطئ ، يحزم الرجال اليوس ويربطونه ، ثم يتولى آخرون رفعه على ظهورهم . وينتشر صيد العصافير بواسطة الشباك فى المناطق الرطبة ، لتنتقل بعد ذلك إلى المزارع بغرض تربيتها . وفى الجنوب ، عند حواف الرادى الصحراوية ، يرأب الرعاة قطعان الماعز والضأن .

وترسم المحاصيل الصيفية لوحة متناغمة ذات تنوعات لا حصر لها . ويتم جمع الغلال والحبوب والخضروات والفراكة فى أكرام ، أو توضع مباشرة فى الأقفاص . ويدرس الفلاحون الحبوب ، وتتجه الحمير مثقلة بأحمالها إلى مخازن الغلال . وعند هوايات ساعات المزارع ، أو فوق أسطح مخازن الغلال ، ينتظر الكتبة وصول المحاصيل ، فيكيلونها قبل تخزينها . إن التماذج التى انتشرت فى عصر الانتقال الأول وعصر الدولة

الوسطى شاع لديها تصوير حظائر الحيوان ، فى حين ندر وجودها على جدران المقاصير الجنائزية . وإضافة إلى ذلك ، كان صناع النماذج الحجرية ، والرسميون يفضلون تصوير مشاهد حصر الماشية ، إذ كانوا يستمتعون على ما يبدو ، بتجسيد الضرب المبرح الذى كان يتلقاه الفلاحون عند تحديد قيمة الضريبة السنوية التى تتغير حسب مقدار المحاصيل ، فيتولى جياة الضرائب تحصيلها عندما يحين موعدها . وفى حظائر الطيور ينثر العاملون الشبان حفنات من الحبوب ، وتجمع الطيور فى أقفاص صغيرة . أما الطيور ذات السيقان الطويلة ، فيجرى تربيتها فى ساحات مسورة . كما يعمل النحال بجوار مناحله ، وغالباً ما يتم الإشراف على محاصيل المزرعة ومنتجاتها داخل المزرعة نفسها أو فى المبانى الملحقة القريبة من مخازن الغلال وحظائر الحيوان أو فى الأروقة . ويضطلع بهذه الأعباء جيش من العاملين ، خبازون وكرامون وقصابون وطياخون ، الذين يعدون الخبز والجمعة والخبث والوجبات الطازجة والجافة والأطعمة المحفوظة ، أو يغزلون الكتان وينسجونه فى الورش المجاورة .

وقد أميط اللثام عن أنشطة زراعية متنوعة وحرف بسيطة متعددة بفضل الإشارات المقتضبة التى وردت فى بعض النصوص القديمة أو مخلفات الإنتاج التى اكتشفها الأثريون فى مواقع الحفائر . ولكن يغلب على مشاهد المقابر أنها تبرز أنشطة بعينها وتفضيلها على غيرها ، لا سيما المناظر التى تساعد الفنان على التعبير الحر عن ذوقه الفنى . فعندما يرسم الحيوان ، فإنه يتحرر من كل قيد ، ويطلق العنان لقدراته الإبداعية بلا حدود . أما فيما يتعلق برسم الفلاح فقد اقتصر اهتمامه على الحركات والأوضاع التقليدية المطلوب نقلها إلى عالم الأبدية . وفى عصر العمارنه ، اهتم الفنان بتصوير ممتلكات المملكة التى لا حصر لها ، وخاصة أملاك الإله أتون ، على جدران المقابر ومعابد إله الشمس . وإذا كان الفنان ، لم يهجر بشكل كامل الأساليب الفنية التى كانت سائدة فى



شكل ٣ : مشهد زراعي ، عصر العمارنة .  
( نقلًا عن : BIFAO 69 , 1971 - Fig . 7 . P. 81 )



العهود السابقة ، إلا أن الأمر لا يخلو من فروق دقيقة . فظهرت لوحات ضخمة ازدحمت بمشاهد صغيرة تمثل الحياة الأسرية والشعبية ، ورسمت الأطر المحددة لكل مشهد فى علاقاته العضوية بالخلفية العامة التى تجمع بين مختلف المشاهد . وتم نقل كل جزء وكل عنصر من العناصر المميزة . فى دقة فائقة ، فوضع كل كوخ فى مكانه الصحيح ، وكذلك السياج المحيط به .

كما يقدم الأدب المصرى صورة مبسطة عن حياة الفلاح تكتفى بالخطوط العامة . فالمشاهد الريفية التى تصورها إحدى القصص لا تختلف عن أمثالها فى أى مكان أو زمان .

" يحكى أنه كان يعيش فى سالف الزمان أخوان شقيقان . الأكبر يدعى " أنبو " . أما الأصغر فيدعى " باتا " . وكان " أنبو " صاحب دار ومنتزحاً . كما كان فى منزلة الأب ، بالنسبة لأخيه الصغير الذى كان يقيم معه تحت سقف واحد . كان " باتا " يحيك ثياب أخيه ، ويسوق ماشيته إلى الحقول والمراعى ، ويحرق الأرض . ويجمع المحصول ، ويقوم بمختلف أعمال الحقل المطلوبة منه . وكان الأخ الأصغر قوى البنية دون شك ، وقل أن يوجد مثيله فى أرجاء البلاد ، وكأنه يستمد قوته من قوة الرب "

" ومرت الأيام ، وتعاقبت . وكان الأخ الأصغر يسوق الماشية كعادته كل يوم ، ثم يعود فى المساء حاملاً مختلف المحاصيل الحقلية واللبن والخشب ويشائر ثمار الأرض ، فيقدمها لأخيه الأكبر الجالس بجوار زوجته . ثم يأكل ويشرب وينطلق إلى حظيرة الماشية ( حيث ينام ) . ومع بزوغ ضياء نهار جديد ، يعدّ ( الطعام ) ويقدمه لأخيه ، الذى يعطيه ما يكفيه من خبز ، ثم ينصرف إلى الحقل ويسوق أمامه الأبقار

لترعى فى الحقل ( .. ) ولما حل موسم الحرث خاطب الأبخ الأكبر أخاه الأصفر قاتلاً : هلمْ أعد الثيران للحرث ، فقد انحسرت المياه عن الأرض التى صارت صالحة للحرث . ولا تنس إحضار البذور ! فغداً تبدأ الحرث فى همة ونشاط \* .

( نقلًا عن الترجمة الفرنسية للنص المصرى

G. Lefebvre , . cit, P. 142 - 143 . )

وتنتقل إلى قصة أخرى ترجع إلى الدولة الحديثة \* . وتروى مفامرات أحد سكان الواحات فى أسلوب يحسده عليه القصاصون العرب . لقد ترك الواحات إلى الوادى سعياً وراء الرزق ، وبعد أن سلب منه جميع ما حمله من مقتنيات ، يمنحه القاضى جميع ممتلكات الشخص الذى كان يلاحقه ويضطهده بعد أن اقتنع بالظلم الذى راح ضحيته من كثرة ما قدم من شكاوى ومظالم .

\* عندئذ أرسل ( كبير الأمناء ) " رنسى بن ميرو " حارسه ( لإحضار " چحوئى نخت " ) . وبعد أن مثل بين يديه قام بحصر ممتلكاته ، وما يملك من أتباع ، فكان عددهم ستة أشخاص بخلاف ... (٢) ما يملكه من زراعات للشعير فى مصر العليا ومن قمح وحمير وماشية وخنازير وأغنام . فأمر كبير الأمناء " بتسليم " چحوئى نخت "

---

\* هكذا فى الأصل الفرنسى . وهذه القصة ، هى القصة التى اشتهرت بإسم " الفلاح النصيح " وجرت حوادثها فى عصر الملك نپ كاوو ربح أحد ملوك إهناسيا من الأسرة العاشرة ، وكتبت فى عصر الإنتقال الأول الذى سبق الدولة الحديثة بحوالى خمسة قرون ( د . أحمد لخرى : الأدب المصرى القديم فى تاريخ الحضارة المصرية . جزء أوله ص ٣٩٣ ( المترجم ) .

( ليعمل عبداً ) في خدمة هذا الرجل الواحى ، كما منح كل ممتلكات  
" چھوتى نخت " .

( نقلاً عن الترجمة الفرنسية للنص المصرى

G. Lefebvre , O.C., P. 142 - 143 .)

ومن الغرب حقا أن النقد اللاذع الذى كان يوجه عادة لكل  
المجتمعات الريفية لم يكن أدهاء ذلك العصر يوجهونه على لسان  
المزارعين أنفسهم ، بل كان يصدر عن أحد الكتبة الذى يشور ويفضض  
لرغبة أحد رفاقه القدامى أن يعود إلى الأرض ؛

" تذكر حال الفلاح ، عندما يطالبه المستولون تسديد الضرائب  
المستحقة عليه خصماً من المحصول ، لقد ابتلعت الثعابين نصف المحصول  
والتهم فرس النهر ما تبقى . وتطفى الفئران الحقول وتهاجمها أسراب  
الجراد ، وتلتهم الأغنام العشب أما طير الخنطاف فيندفع الفلاح إلى الفاقة  
والإملاق . وما تبقى من طحين داخل الجرن ، فهو لاستهلاك الفلاح  
الخاص ، وهو معرض لسطو اللصوص ، ولئن ينخفض سعره فى  
السوق . لقد نفقت البقرتان من شدة الإعياء ومن كثرة العمل فى الدرس  
والحرث . ويرسو الكاتب بقاربه على شاطئ النهر ، ويحضر تسجيل  
المحصول وفى معيته الحجاب الذين يحملون العصى ، والنوبيون الذين  
يحملون جريد النخيل ويقولون : " إعطنا القمح ! " ولكن أين  
القمح ؟ . فيوسعون الفلاح ضرباً ، ثم يشدون وثاقه ، ويلقون به فى  
البئر ويغمرونه بالماء ورأسه إلى أسفل . كما توثق زوجته فى حضوره ،  
ويربط أولاده . أما جيرانهم فقد تركوهم وحدهم ليواجهوا مصيرهم .  
ويختفى القمح ( ... ) " .

وما يشير دهشتنا هو هذا الدور المشثوم الذى يضطلع به الكاتب ،

وموقفه من الصورة القائمة التي تصور مصير الفلاحين . إنه لا يحرك ساكناً . بل ولا يخطر على باله أن يتأمل حقيقة مأساة وضعيته ، ولا يألوا جهداً في إقناع الآخرين بسلامة موقفه حتى يصل به الأمر إلى موقف لا أخلاقي . إنه غير مهتد بأن يتعرض لمثل هذه المواقف المهينة ، فهو لا يخضع للضريبة حيث كل الكتبة محفون منها .

وعلى عكس ما سبق ، فتماذج المراسلات التي يتدرب عليها الكتبة الشبان لا تعكس حقيقة أوضاع الفلاح كما وصفناها . وتصور النصوص وصول رسول القصر إلى إحدى ضياع الملك بالوجه البحري ليتسلم في هدوء تام كميات ضخمة من الفاكهة ودنان النبيذ . كما يشير نص آخر إلى مذكرة مقدمة إلى رئيس محفوظات الخزينة حول أوضاع الأملاك وتفاصيل تنفيذ التعليمات بما يرضى المسؤولين . ويحكى نص ثالث يوميات الأعمال التي تجرى في جرن لدرسي الحبوب . كما سحرنا على المراسلات الحقيقية لأحد كبار الملك من الأسرة الحادية عشرة والتي تبادلها مع أحد ثقاته ، ليصف فيها الظروف القاسية التي تمر بها البلاد لتفشي المجاعة . ويتحدث عن توزيع حصص المواد الغذائية في أرجاء البلاد ، ضماناً لتولبر الحد الأدنى من الضروريات للجميع .

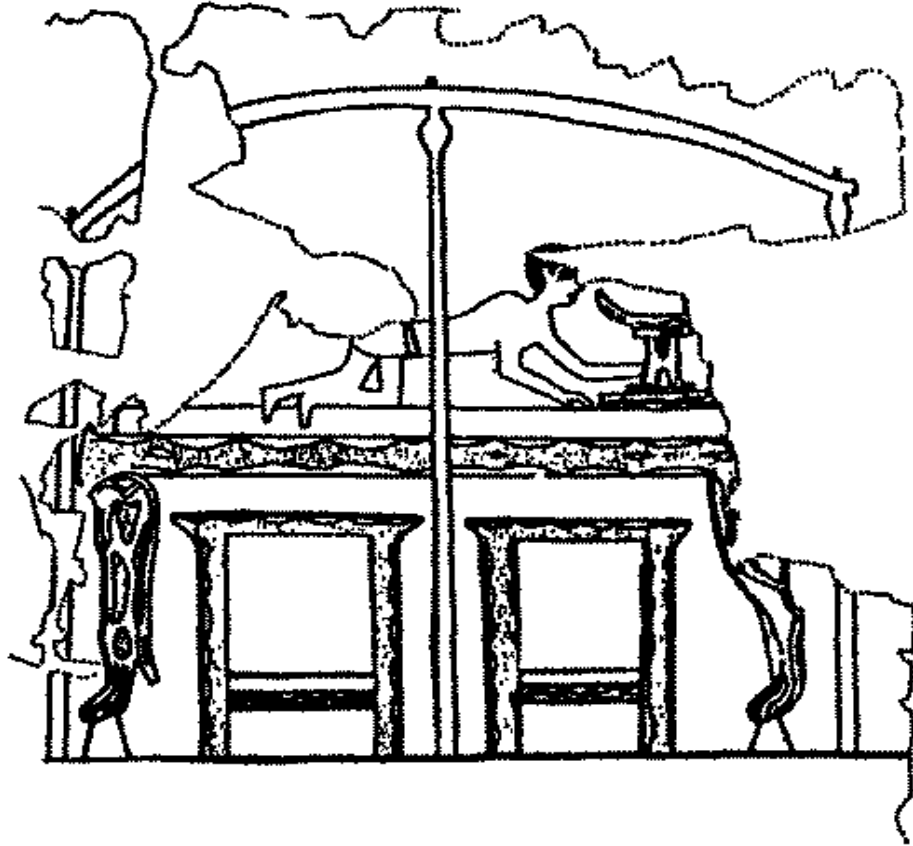
## ٥ - الخدم

كانت طائفة خدم المنازل في مصر الفرعونية تضم عدداً من المهن ،  
نعتبرها نحن حرفاً في عالم اليوم ، مثال ذلك صناعة الأغذية وصناعة  
النسيج . ولم ينتظم الخدم في سلم وظيفي ، إذ كانوا يعملون جميعاً  
عند نفس رب البيت ، ومن ثم كان ينسحب عليهم ما لرب البيت من  
وضع اجتماعي ، مع إمكانية أن يرأسوا ، هم أيضاً ، غيرهم من  
العاملين الأقل منهم شأناً . وبناء على ذلك فإن نفس الألقاب لم تكن  
بالضرورة تحمل نفس الدلالات ، كما لم يكن يترتب عليها نفس الأعباء .  
فالأمر يختلف باختلاف أصحابها ، فقد يكونون من رجال البلاط ، أو  
من العاملين عند أحد الأفراد ، أو من العبيد . ومع حلول الدولة  
الوسطى برز الأجانب وسط طائفة خدم المنازل كثفة متميزة ، وشغل  
الكنعانيون معظم هذه الوظائف . أما النساء فلم نتطرق إليهن حتى الآن  
من خلال ممارستهن الفعلية لوظيفة معينة ، ومع ذلك فقد كن يضللعن  
بشور سياسي بارز إذا اقتضت الضرورة ذلك ، إذ كن يتبوأن المناصب  
الاقتصادية والكهنوتية ، ولكنهن استخدمن بتوسع لى مضار الخدمة  
المنزلية ، وكان يعهد إليهن بأعمال محددة تحديداً واضحاً .

ظلت نقوش المقابر وتصاورها منذ مطلع الدولة القديمة ، المصدر  
الرئيسي لمعلوماتنا كما كان الحال بالنسبة للفلاحين ، وقد أضيفت إليها  
مجموعات ضخمة من النصب الحجرية التي ترجع إلى الدولة الوسطى .  
ففي مشاهد البلاط الملكي وريف مصر نتابع مناظر الحرف المرتبطة  
بالنشاط الزراعي ، والتي يزاولها الحرفيون في أثنىة وديار العامه . وقد  
جاء ترتيبها بجوار مشاهد الحصاد وجمع المحاصيل ، فالطحاطون والحجازون  
وصناع الجعة يعملون على مقربة من مخازن القمح ، أما القصابون  
فيذيبون الماشية ويسلخونها ويقطعونها على مسافة بضعة أمتار من

حظائر الحيوان . ونشاهد قطعاً من اللحم معلقة على الحبال لتجف ، أو تشوى بعضها فوق الشوايات ، أو تسوى فى القدور على نار هادئة وفى مشاهد أخرى يحمل خدم المنازل الطعام والشراب إلى رب البيت ، فى حين ينصرف آخرون إلى مختلف الأعمال المنزلية . ويرتب بعضهم حجرة النوم والسرير . وقد لاحظنا من قبل أن المعاهد الجنائزية فى الأسرة الخامسة ، تقوم بتوظيف عاملين مدنيين لتجهيز الأطعمة ونقلها أو لتنظيف المفروشات ، وينفرد الكهنة بطقوس الملك المتوفى وتقديم الأطعمة له ، فهذا من اختصاصهم وحدهم . كما أن النماذج التى اشتهرت بها مقابر الدولة الوسطى تمثل مختلف الأنشطة الحرفية الخاصة بصناعة الأغذية والنسيج . وهذه التصاوير أسرة بالمشاهد المسجلة على جدران المقابر ، تستهدف الإبقاء على حيوية ذكرى الضياع ، والأنشطة الزراعية وأنشطة الورش وغيرها .

وفى أيام الدولة الوسطى ، لم يقف الأمر عند حد ترحيب السادة بظهور الخدم والخدمات على جدران مقابرهم ، مع تسجيل أسمائهم ووظائفهم وأوضاعهم الاجتماعية ، بل اعتاد الخدم أن يشيدوا نصباً حجرية تخليداً للذكرى مخدوميهم . ويبدو أن العمل كان موزعاً بين فئتين رئيسيتين : فئة تضم " الخدم الوقوف " ، ومهمتهم الأساسية السهر على توفير ما يحتاجه رب البيت ، من تجهيزات وخدمات ، أما الفئة الأخرى فتضم " الخدم الجالسين " ، ومهمتهم توفير المأكل والمشرب والملبس . وينطوى هذا التقسيم على قدر كبير من التعميم والتبسيط ، حتى أن الخروج عليه كان أمراً وارداً وشائعاً . وفى المعتاد يتميز الخدم الوقوف بأنهم بدناء ، وشاحير البشرة وحلقاء الرأس ، وكانوا يزاولون أعمالهم فى الجناح الخاص برب البيت ، أو فى الخزانة حيث تحفظ المقتنيات النفيسة كالمعادن والأدوات المعدنية من أسلحة وأواني ، بالإضافة إلى المفروشات والملابس والنعال ، ثم الدهون والزيت وما شابه ذلك . كما أن أعمال



شكل ٤ : خادم يرتب سريره سيده . مشهد من مقبرة أوناس عنخ ، في طيبة ، من  
الدولة القديمة .

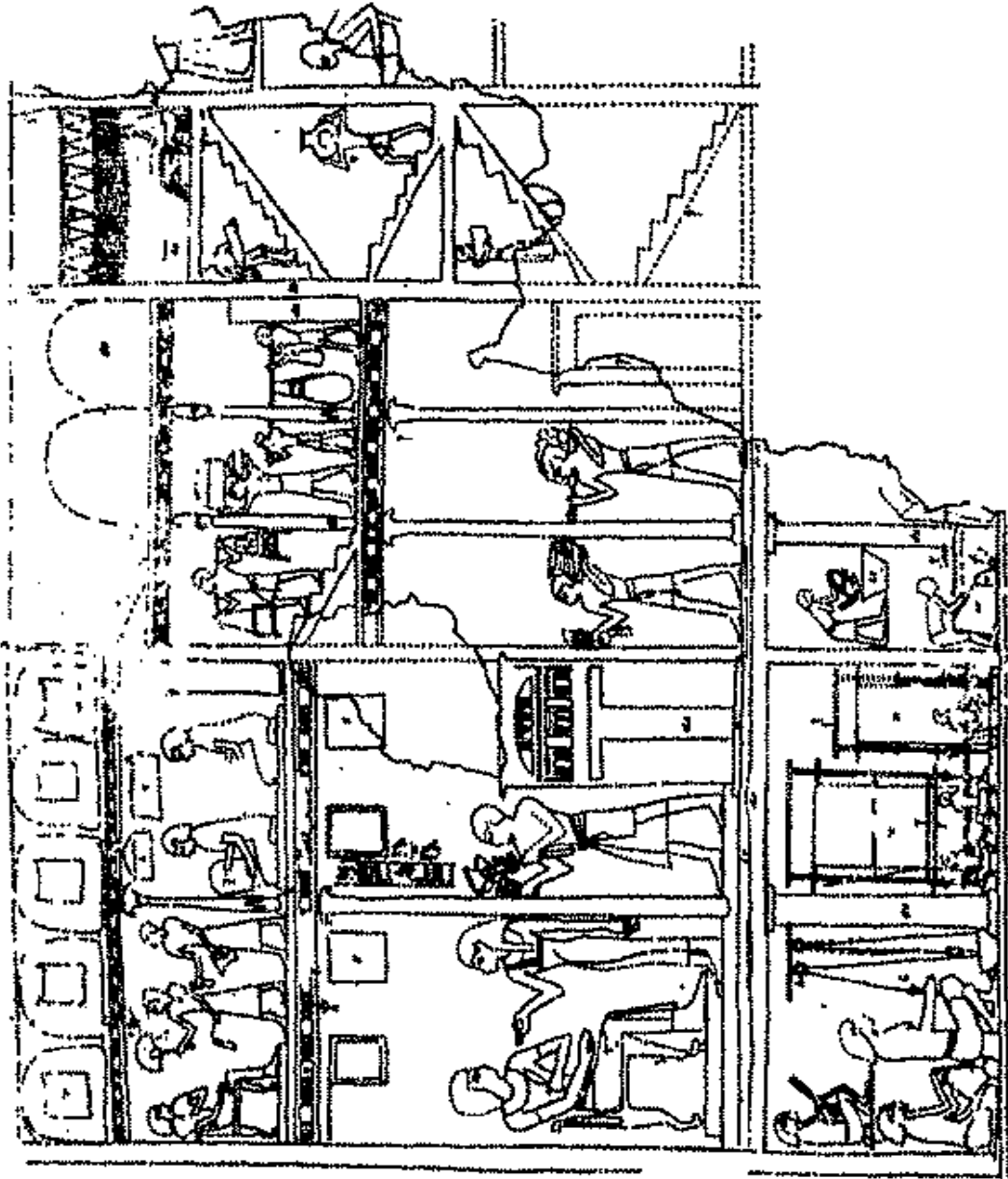
( M. SALEH , Three Old Kingdom Tombs at Thebes , 1977

لوحة رقم ٤ )

الفرز والنسيج والسكافة والتنظيف كانت من اختصاص هذه الإدارة التي يوجد لها مشيل في ممتلكات التاج وفي المعابد وفي منازل الأثرياء . وكان أصحاب الوظائف المختلفة يعيشون متجاورين متزاملين ، فكتاب التقاوير ونظار الضياع والكتبة يعايشون المغنيين والموسقيين والخدم والبرابيين ومنظفي الملابس . وتسهر النساء على زينة ربة البيت وخزائن ثيابها . أما المستولات عن حسن مظهرها وتصنيف شعرها فيحملن المرايا والصناديق الصغيرة ، وبعضهن كن مرضعات أو خادمسات للأطفال أو مثنيات .

وتعنى كلمة " شنمو " المطبخ والخزن أيضاً . إنه المكان المخصص لإعداد الأطعمة وحفظها ، ويضم المطبخ والمخبز ومعمل الجعة والملبنة وأتبية التبييض وخزان المياه ومخازن حفظ الأسماك والفواكه وما شابه ذلك ، وفيه أيضاً تحفظ المفروشات ودفاتر الحسابات الخاصة بهذه الخدمات . ويقوم الخدم الملحقون بالمطبخ بإعداد الطعام ويقدمونه لرب البيت . وتحمل مشاهد تقديم المشروبات مكان الصدارة وسط مشاهد الحياة الخاصة . أما الخدمات اللاتي يشرفن على تقديم المشروبات ، فكن يجدلن شعورهن ، ويشددن رؤسهن بعصاهات مراعاة لصحة رب البيت وضيوفة . وتعمل النساء أيضاً في المطابخ والمخابز ، ويشرفن على طعن الدقيق بالرحى ونخله بالمشاغل ثم إعداد عجين الخبز الذي يصيبته في القوالب المخروطية المعدة لهذا الغرض . أما أقرانهن من الرجال ، فيقومون بنفس عمل النسوة . ويعدون أرغفة مستديرة أو مسطحة ويتركونها تنضج في أفران من نوع آخر . في حين يتولى غيرهم من الرجال جرش الحبوب في الأجران بمضارب خشبية .





شكل ٥ : منزل " بعبوتى نفر " امر طيبة .  
 نقلا عن :

Egypt , ( N. de Garis Davies , The Town House in Ancient  
 1929 , Fig 1 , P. 334 - 335 )

فلنتأمل الرسم الذى يمثل مقطعاً طولياً فى بيت " چھوتى نفر " \* \* \*  
وهو من كبار موظفى امنحوتب الثانى . يجمع الرسم بين عدد من هذه  
الأنشطة الحرفية المنزلية فى إطار أسرى . وتبدأ بالطابق الواقع فى  
معظمه تحت سطح الأرض ، وهو المخصص لصناعة النسيج . فيغزل  
الرجال فى الحجرة الأولى ، وفى الثانية ، يجلسون أمام أنوال ضخمة  
لنسيج الكتان ، وفى الحجرة الثالثة ، يقومون بأعمال الغسيل . وفى  
الطابق الأرضى نشاهد الخدم والخدامات وهم يحضرون الأوانى ، ويقدمون  
الفواكهة والزهور لرب البيت . وتزدهم السلالم بالخدم الذين ينقلون  
الصناديق والجرار وقطع اللحم إلى الأدوار العليا . وفى الطابق الأول يجلس  
رب البيت ، بينما يقدم له أحد الخدم الشراب ، ويتولى آخر ترطيب الجو  
بهز مروحته . ويبدو أن رب البيت يلى أوامره وتعليماته لكاتبين وراكعين  
أمامه . وفوق سطح المنزل ، يشرف المحاسب على تسجيل المؤن الجارى  
تسليمها . أما الجانب الأيمن من رسم الدار لمهشم تماماً ، ويفترض أنه  
كان مخصصاً لقطاعات أخرى من الأنشطة ، لا سيما بيت الحرم .

أما الأملاك الكبرى المنتشرة فى أرجاء المملكة فتظهر على جذران  
مقابر كبار الموظفين الذين كانوا يشرفون عليها ويديرون شئونها ،  
وتزدهم بجيش من الموظفين المجهولين الذين يحملون فى همة ونشاط ،  
وتصورهم المناظر وهم يخزنون المؤن أو يحضرون صنوف الأغذية  
المحفوظة ، ويرتبون المفروشات عند خروجها من الورش ، أو يوردون  
يومياً الأغذية والأطعمة الضرورية واللازمة لاحتياجات أهل البيت .

---

\* هو ملاحظ الخزانة والكاتب الملكى ( امنحوتب الثانى ) والرسم المذكور موجود  
فى مقبرته التى تحمل رقم ٨٠ بطيبة الغربية ( المترجم ) .

## الفصل الثالث

### مستوى المعيشة ومظاهره



كانت الدروب التي تتيح للمصرى القديم بلوغ عالم الشراء والأثرياء كثيرة ومتنوعة . فمهما كانت مهنته ، فإن أجره كان يمكنه في المعتاد من إيدار ما يكفيه للحصول على مقتنيات خاصة . وإضافة إلى ذلك ، كان يحدث في بعض الظروف أن يهبه الملك بعض المنح أو ينعم عليه بالهبات الخاصة كلفتة كريمة من جلالاته تقديراً لمآثره ، عندئذ كان المصرى يستثمر لحسابه الخاص ما يحصل عليه من أراض وقطعان ، ويستقطع من أرباحها تكاليف إعاشة العاملين في خدمته والضرائب المفروضة عليه والتي تقدر مرة في العام على أساس حجم المحصول . ومن ناحية أخرى فإذا كان والده يمتلك ثروة ضخمة ويتولى الإبن رعايتهما أحياناً ويسهر على ترتيبات دفنهما إذا وافتهما النية فقد يؤول إليه إرث تتراوح أهميته وفقاً لثراء الوالدين وعدد الأبناء الأحياء . وفي النهاية فإنه لو أتبعته له الفرصة لمزاولة حرفة أو تجارة إلى جانب عمله الرسمي كان يتوفر له بذلك مورد إضافي لا يستهان به .

لقد وصلت إلينا بعض العقود القانونية المتعلقة بإجراءات البيع والقسمة والوصاية ، التي تقن حيازة الملكية أو نقلها من شخص إلى آخر ، وإن كانت هذه العقود قليلة جداً بالمقارنة إلى ضخامة أعدادها المفترضة . ومع ذلك فإن هذا القدر القليل يوفر لنا معلومات حية عن موارد بعض العائلات والقيمة النسبية لممتلكاتها ، إذ كان يسجل بالضرورة قبالة كل ملكية ما يعادل قيمتها بمعدن البرونز أو الفضة أو الذهب . كان المصرى القديم الميسور ينفق الكثير إما على رفايته ومنتج الحياة أو إهباً للآخرين . وكان يكرس لهذا الغرض أموالاً طائلة . ونظراً لغيبوبة النقود فإنه كان يضطر أن يقدم منتجات تعادل الثمن المحدد لما يقتنيه أو يود تملكه . وكان يخصص الجزء الأكبر مما يمتلكه للإتفاق على تجهيز " دار الأبدية " وإعداد الأثاث الجنائزي ووقف موارد الأملاك الجنائزية للصرف منها على الشعائر التي يود أن تقام تخليداً لذكراه بعد وفاته ، ولتشيد المقابر الجنائزية أو صناعة ما هو أقل تكلفة كالنصب

الحجرية أو التماثيل التي توضع في حرم المعبد المقدس في حماية أحد  
الآلهة ورعايته ، وكان الحرم المقدس لمعبد أوزيريس إله الموتى بأبيدوس \*  
من الأماكن المفضلة لوضع هذه النصب . ومن هنا نستنتج أن المدفن  
والأوقاف هنا من أهم مظاهر الشراء في مصر الفرعونية . إنها رسالة  
موجهة إلينا عبر الزمان السحيق تخبرنا بمآثر المتوفى وخصاله الحميدة  
ومقتنياته المادية في إطناب واسترسال عن معيابه وثروته وتمعدها .

---

\* أبيدوس . هو الإسم اليوناني للمدينة المصرية القديمة " أبلو " التي كانت تضم لهر  
الإله أوزيريس ، وتقع في المنطقة الرملية إلى الجنوب الغربي من " شن " ويشمل  
أبيدوس الآن القرى الأتية : الغابات والعرابة المنلوثة وبنى منصور ( المترجم ) .

## ١ - المقبرة والآثاث الجنائزي وعمائر تخليد الذكور

إذا تركنا جانباً عمارة القبر الملكي لا ينبغي أن يغيب عن الأذهان أنها النموذج الأول المحتذى لمقابر الأفراد . ومع ذلك فقد تنوعت عمارة مقابر الأفراد باختلاف الزمان والمكان والبيئة الاجتماعية . ففي بعض المقابر التي ترجع إلى بواكير الحضارة المصرية وقبل عصر الدولة القديمة كشفت الحفائر عن آثار تنم عن الرغبة الملحة التي دفعت المصري إلى نقل أهم العناصر الضرورية لحياته على الأرض إلى المقبرة ضماناً لاستمرار الحياة الأخرى . لقد شيدت أولى المصاطب \* بالطوب اللبن وأحيطت بسور له مشكارات أي دخلات رأسية عميقة متعاقبة يعرف اصطلاحاً باسم " واجهة القصر " . ومن المتفق عليه على وجه العموم أن هذه المصاطب كانت قريبة الشبه بتصور أمراء ذلك العصر . ومع حلول الأسرة الثالثة أخذت المقابر تتميز عن المساكن من حيث بنائها والمواد المستخدمة فيها . فانتشر استخدام الحجر عند تشييد البناء العلوي من المصطبة . بل أقيمت بعض التشييدات المعمارية من أجود أنواع الحجر الجيري المنقول من مجاير طره أو من جرانيت أسوان أو من الألبستر الذي اشتهرت به منطقة حتنوب \*\* . الأمر الذي زاد من جمال المظهر وبهائه . وابتداء من الأسرة الراهجة أخذت نقوش المقبرة تسجل قصة بناء المقبرة أو وصول الباب الوهمي أو التابوت كمنحة من الملك أو هبة منه . وتدون هذه النقوش في المقصورة الجنائزية أو على عتب باب المقصورة حتى يظالها أقارب المتولى والكهنة الجنائزيون عند حضورهم لتقديم القرابين اليومية .

---

\* المراد " مصطبة " وهو إسم اصطلاحى أطلق على المقابر الملكية في نهاية الأسرات وعلى مقابر الأفراد خاصة في الدولة القديمة . ( المراجع ) .  
\*\* هو إسم مجاير الألبستر بينى سوكف ( المراجع ) .

تقول إحدى هذه النقوش :

" المكان الذى شيدت فيه هذه المقبرة هبة من ملك الوجه القبلى  
والوجه البحرى الملك " منكاورع " ليحيا إلى الأبد . وحدث أن ( جلالتك  
كان ير ) بالطريق القريب من الهرم متفقداً أعمال تشييد هرمه المسمى  
" منكاورع المقدس " وبينما كان عامل البناء ( والتجار الملكى )  
والكاهنان الكبيران لمدينة منف والحرفيون ، كانوا جميعاً موجودين  
لمباشرة أعمال تشييد المعبد ( ... ) إذ بجلالتك يصدر أوامره لتسوية  
الأرض وإزالة الرديم المتخلف عن أعمال البناء ( لتشييد ) هسده  
المقبره " .

ورغم ما يتخلل باقى النص من فجوات إلا أن ما تبقى لنا من أجزاء  
توضح أن الملك كلف أمين خزانة الإله بإحضار الحجر الجيري اللازم لكسوة  
معيده الجنتازى من محاجر طره ، وأن يحضر معهما باهين وهميين  
وملحقاتهما لمقبرة " دهنى " . وقد شهدت المصطبة تحت إشراف مهندس  
الملك شخصياً ، وصدر بذلك مرسوم ملكى . وكانت أبعاد المصطبة \*  
١٠٠ ذراع \* طولاً و ٥٠ ذراعاً عرضاً أى ما يساوى حوالى ١٢٥٠  
متراً مربعاً ، وكان ارتفاعها يناهز ٤ أمتار .

وهكذا انتشرت فوق هضبة الصحراء الغربية مدن وأحياء كاملة من  
المصاطب التى شيدت حول أهرامات دهشور والجيزة وأبو صير وسقارة\*\*  
وصارت المشوى الأخير لعائلات من رجال الهلاط . أما فى أقاليم مصر

---

\* يسارى النواع المصرى ٢ ، ٥٢ سم . ( المترجم ) .

\*\* إذا أردنا ترتيب هذه المناطق من الشمال إلى الجنوب كانت على النحو التالى :  
الجيزة ، أبو صير ، سقارة ثم دهشور ( المترجم ) .



فقد ظهر طراز آخر من المدافن أخذ يتناس الطراز الأول . لقد نقرت المقابر الجديدة على امتداد الوادى فى الهضبة الصخرية المتاخمة للنيل فى بعض المواقع . وقد ابتدع حكام الأقاليم تخطيطاً جديداً أو مختلفاً تماماً لمقابرهم الصخرية ، إذ تبدو عمارة المصطبة ككتلة ضخمة تضم الجزء العلوى من البناء ، وتتكون من صفة صغيرة تفضى إلى فناء . وتتكون المقصورة الجنائزية من عدد من الحجرات لكل منها وظيفتها الخاصة . وكان السرداب المغلق يحتوى على تمثال قريب الشبه بالمتوفى . وأسفل هذا الجزء العلوى من المقبرة توجد حجرة دفن واحدة أو أكثر تصل إليها من خلال بئر . أما المقابر الصخرية فيتقدمها فناء أو فناءمان إذا توفر المكان . وقد يوجد علاوة على ذلك درج فخم كمدخل للمقبرة ، وقد تزدان واجهة المقبرة بياكبة فخمة ، أما قاعات المقصورة وحجرة الدفن فقد نقرت فى صخر الجبل . واعتمد المصريون هذين النمطين المعماريين معاً عبر مختلف عصور التاريخ الفرعونى سواء فى الجبانة الملكية أو فى المقابر المنتشرة فى طول البلاد وعرضها . كما ظهرت مقابر جمعت بين عناصر النمطين أو ابتكرت مع مرور الزمن إضافات جديدة كان من أبرزها الهرم الذى يوضع فوق المقصورة . ويبدو أن هذا الهرم ظهر أول ما ظهر فى طيبة فى عصر الأسرة الحادية عشرة ، وانتشر انتشاراً كبيراً فى ظل الدولة الحديثة . كما شاع استخدامه فى أبسط الطبقات .

وعندما كانت جدران المقابر المشيدة أو المنقورة فى الصخر تخلو من مناظر تقدمه القرايين أو مناظر الطقوس والشعائر الجنائزية ، كانت تسجل ، وهنا بالطبع طبقاً لقواعد العصر ، بنص أو بصورة مرفقة بتعليق قصير أملاك المتوفى والأنشطة الوظيفية وغيرها ، هنا بالإضافة لبعض مظاهر سلطته وسلطانه وما شارك فيه أو عاصره من أحداث مهمة . وأخيراً كان يصور أفراد أسرته وأصدقائه ووفائه وولياؤه ومرؤوسيه . حقاً إن المقبرة لتعبر صادق عن ثراء صاحبها بالنظر إلى

أطرافها ومساحتها ومستوى نقوشها وحيوية رسومها ، ويضاف إلى كل ذلك ما لذ وطاب من صنوف الطعام ، واضح من ذلك أن ثراء المتوفى وراء إعداد هذه المقبرة وتجهيزها ، فالمقبرة هي البرهان الحى على المكافأة التى تنتظر كل صاحب فضيلة ، والجائزة التى تمنح لمن عاش حياة حافلة بالنجاح ، وهى من النعم التى لا يفوز بها إلا من استحقها عن جدارة ، ولا يقف الأمر عند جمال عمارة الجزء المرئى أو المتاح للزيارة من المقبرة والمواد المستخدمة فيه أو الزخارف المنتشرة على جدرانها ، بل إنه يمتد إلى أعماق حجرة الدفن والأثاث الجنائزى . كان الاعتقاد السائد أن فخامة البناء العلوى ، وهو الجزء الظاهر من المقبرة ، يعنى أنها تحوى كل ثمين ونفيس ، فصار من الصعب مقاومة إغراءات السلب والنهب . وليس من قبيل الصدف أن المقابر التى سلمت من أيدى اللصوص هى المقابر التى ضاعت معالم مداخلها ، أو لعبت الظروف والصدف دوراً فى إخفائها وطمسها . ومع بداية الدولة الحديثة كان أثاث المقبرة يتكون من عناصر جنائزية كالتوابيت وأواني الأحشاء وقنايل المجاوب \* هذا إلى جانب \* كتاب الموتى \* بالإضافة إلى كل ما يحتاجه المتوفى لاستعماله اليومى من أثاث منزلى وملابس وأدوات زينة وآلات وأطعمة وأواني . وإذا كان المتوفى من الأثرياء وضع بجانبه فى المقبرة بعض القطع الشمبنة من قنايل خشبية وأحجار كريمة ومعادن أو أواني ذهبية أو فضضية أو برونزية إلخ ... وعند إتمام المراسم الجنائزية ، كان حاملو الأثاث الجنائزى يسرون فى موكب مهيب خلف الجثمان الذى يحمل الدليل القاطع على نوعية التحنيط التى فاز بها المتوفى . فالتحنيط أنواع : النوع الأول وهو أجودها ، ويتم على خطوات على النحو التالى :

\* وهى المعروفة اصطلاحاً بإسم \* أو شبتى \* أو \* شاورتى \* وهى قنايل الخشب التى تسهر على خدمة المتوفى . وبلغت أعداد هذه القنايل عدة مئات فى بعض المقابر ( المترجم ) .

استخراج المدغ والأحشاء \* ثم إحلال المواد العظمية محلها ثم توضع الجثة في ملح النطرون لمدة سبعين يوماً . أما أبسط أنواع التحنيط فيكتفى بتجفيف الجثة باستخدام مواد وراتنجية . ثم تلف بلفائف من الكتان تتراوح رقتها حسب نوعية ودرجة التحنيط .

ولم ينحصر اهتمام المصري في الحفاظ على البدن في بيئة مريحة آمنة إذا وافته المنية ، فاستمرار الحياة بعد الوفاة يحتاج إلى إمداده بالمأكل والشراب بانتظام ، والقيام ببعض الشعائر وذلك استمراراً لممارسة الغم والأنف لوظائفهما الحيوية . ومن الأهمية بمكان ألا يتوقف النطق باسم المتوفى على مرّ الزمان . فدعوى يصل المصري إلى هدفه المنشود كان لزاماً عليه أن يوقف ريعاً أو دخلاً ثابتاً للصرف على من يقومون بخدمته بعد وفاته ، وذلك بعد أن لم يعد في استطاعته أن يأمرهم بذلك . أو أن يعتمد على تقوى أهل بيته . لقد حفر المصري القديم عند مداخل المقاصير دعاء موجهاً إلى الأحياء لاستشارة حبيبتهم . ولضمان استمرار الحياة بعد الموت ، ظن المصري أن الإرتكان إلى الآلهة أفضل من الاعتماد على الكهنة . فخلد ذكراه بأن أقام المبانى في المعابد التي شيدت في مسقط رأسه ، أو أقامها في أيديوس خلال رحلاته المتكررة إلى المدينة المقدسة للحج والتبرك . ومن نماذج هذه المبانى التماثيل التي أقيمت كمظهر للتضرع والتقوى أو النصب الحجرية التي تضم مناظر لعدد من أفراد أسرته أو المقربين إليه ومعاونيه .

---

\* يستخرج المدغ عادة عن طريق الأنف وأحياناً عن طريق الثقب الأعظم أما الأحشاء فتستخرج عن طريق شق البطن ( المترجم )

## ٣ - الناس

إنه لمن الصعب إماطة اللثام عن اللوائح المنظمة لعمل الموظفين الذين نشاهدهم على جدران المقابر وهم يزاولون الأنشطة المتعددة والمتنوعة في خدمة السيد أو في الحقول أو في الورش أو في الأجنحة المخصصة لتوفير الخدمات المنزلية ، وذلك لأن العديد منهم موظفون ملكيون . هذا بالإضافة إلى أننا ما زلنا نجهل ظروف تواجدهم لدى الأفراد العاديين : هل هو وجود مؤقت لإنجاز مهمة محددة ، أو أنهم ملحقون بملكية خاصة . فتصبح أوضاعهم شبيهة بأوضاعهم كموظفين في أملاك التاج أو في وقف ديش ، وإذا تولى رب الأسرة فهل يخضعون لسلطة الزوجة أم الإبن الأكبر ؟ . ولا تسعفنا أي نصوص قانونية توضح أوضاع هؤلاء الرعايا . ومن دراستنا لبعض الحالات الفردية نستنتج عدم وجود قواعد عامة مطلقة وثابتة لتنظيم هذه الأوضاع وأن توزيع هؤلاء الموظفين للعمل في أرجاء المملكة رهن باتفاقيات خاصة تبرمها السلطات مع الأعيان الراغبين في استخدام هذه الفئة من العمالة . وأياً كان الأمر فمن المؤكد أن هؤلاء الموظفين لم يكونوا ملكاً لمخدوميهم .

أما الأفراد الذين حرّموا من حريتهم بحكم قضائي ، والأجانب أسرى المعارك الحربية خارج البلاد ، فإن أوضاعهم كانت جد مختلفة . لقد حفظ لنا الزمن ملفاً يرجع إلى الأسرة الثالثة عشر يحدد حقوق السيدة " سنب تيسى " على جماعة مستترقة مكونة من ٩٥ فرداً . ويحوى الملف مقتطفات من سجل استقبال النزلاء في السجن الكبير في طيبة ، ويرجع تاريخه إلى الأسره السابقة ويشمل على معلومات قيمة عن هؤلاء الأفراد . فيذكر إسم كل منهم وأحياناً وظيفته والتهمة التي أدين بسببها . وتحت أيدينا محضر يعق بموجبه لناظر الضاع " حا عنخ أف " أن يتصرف كما يشاء حيال هؤلاء الرجال والنساء على السواء .

ويتنقل هذا الحق إلى زوجته من بعده . وترجع إلى نفس العصر محفوظات مدينة سنوسرت الثانى الهرمية بالفيوم التى حوت على العديد من وثائق القسمة ، منها ما يشبه وثيقة قانونية تحتوى على وصيتين متلاحقتين :  
تقول الوصية الأولى :

\* عقد ملكية حرره أمين الخزانة ورئيس إنشآت المدينة الشمالية المدعو " إىحى سنپ " وشهرته " عنخ رن " بن " شپست " : جميع أملاكى ، ما كان منها بالريف وبالمدينة ، أتركها لأخى " إىحى سنپ " وشهرته " وأحو " بن " شپست " ، الكاهن فى جماعة إله سويد \* رب الشرق . وأودعت صورة الوصية فى مكتب نائب الجنوب فى العام ٤٤٠ ، الشهر الثانى من فصل الصيف ، اليوم الثالث عشر .

#### أما الوصية الثانية فتقول :

" العام الثانى ، الشهر الثانى من فصل الربيع ، اليوم الثامن عشر . عقد تملك ، حرره الكاهن " إىحى سنپ " فى جماعة سويد رب الشرق :  
إنى أحرر عقد تملك لصالح زوجتى " شفت " وشهرتها " تيتى " إبنة " سات سويد " فجميع الممتلكات التى أعطاها إياى أخى " عنخ رن " أمين الخزانة ورئيس الإنشآت ( .. ) وجميع آنية المائدة التى ورثتها عن أخى ، فمن حق زوجتى أن تمنحها لمن تشاء ، من أبنائها الذين أنجبتهم منى . وأهبها أيضاً الأسويين الأربعة الذين ورثتهم عن أخى ... لكى تعطيهم لمن تشاء من أولادها . أما مقبرتى فأود أن أدفن فيها مع زوجتى . ولا يدفن أحد آخر معنا . أما المبانى التى ورثتها عن أخى فلتسكنها زوجتى ولا يحق لأحد أن يطردها منها ( .. ) " .

---

\* هو إله الإقليم العشرين من أقاليم الدلتا . وكان المركز الرئيسى لمهاده صفت الحنة الحالية ( المترجم ) .

لقد جاء ذكر العاملين المسترقين مباشرة بعد الممتلكات ، كما ورد تماماً في قصة " الواحى " \* . ومن الملاحظ أن صورة الوثيقة الأولى مرفقة بوثيقة الملكية الثانية تأكيداً لحق صاحبة الوصية فى التصرف فى الأملاك المعنية .

وإلى جانب ما سبق ذكره ، وصلنا من عهد رمسيس الثانى محضر وصية يحتوى على بنود عقد بيع فتاة سورية ، وتتضمن الوثيقة أيضاً مقايضة عهد مقابل مقبرة من مقابر طيبة .

بنود عقد بيع الفتاة السورية :

" فى العام الخامس عشر ، وبعد إنتضاء سبع سنوات على زواجى من سا ( موت ) رئيس المدينة حضر التاجر رايا وفى صحبته الجارية السورية " جيمنى حرى مننت " وحدثنى قائلاً : لقد وجدتُها فى الغرب . وكانت طفلة آنذاك . واستطرد قائلاً : " اشترى الفتاة وأعطى ثمنها . فاشترت الفتاة ودفعت ثمنها . والآن أعرض على القضاء السعر الذى دفعته للحصول عليها . "

وتسرد بنود العقد تفاصيل ما قدمته السيدة للحصول على هذه الجارية . لقد قدمت سبع ثياب أو قطع نسيج كانت فى حوزتها ، وأضافت إليها خمس أوان برونزية وتسعة كيلو جرامات نحاس وجررة عسل وعشرة سراويل حصلت عليهم من ستة أشخاص مختلفين . وإذا جمعنا قيمة كل ذلك لوجدنا أنها دفعت ما يعادل تقريباً ٣٧٥ جراماً من الفضة للحصول على الجارية الشابة . أما المقبرة التى تم مقايضتها بعهد

---

\* وهى القصة المشهورة المعروفة اصطلاحاً بعنوان " الفلاح النصيح " ( المترجم ) .

فلم تحدد الوثيقة قيمتها . ولكن وصلتنا شهادة حية لعبد آخر من عهد رمسيس الحادى عشر إذ يقول أن صاحبه قد اشتراه مقابل ما يناهز تقريباً ١٨٢ جراماً من الفضة . وفى نفس التاريخ تم شراء امرأة مقابل حوالى ٣٧٥ جراماً من الفضة .

كانت هذه الوثائق قليلة ونادرة فى العصور السابقة على العصر المتأخر . ولكن يعتبر وجود العبيد بأعداد متفاوتة ضمن تركبات الأفراد من الأمور العادية والشائعة فى أيام الدولة الحديثة فى الشرائع الاجتماعية ذات الأصول المتواضعة : كالأب الإلهى أو البستانى أو عمال الجبانة أو حتى الأجانب ....

### ٣- العقارات

خلف لنا عصر الدولة القديمة عدداً من عقود بيع المنازل ، منها عقد محفور على نصب حجري كان ينهض على مقربة من العقار ، ولكن العلماء الذين ترجموا هذا النص لم يتفقوا على طبيعة هذا العقار . هل هو منزل أم مقبرة ؟ وظل السؤال المطروح دون جواب شاف . ولا يذكر النص أطوال المبنى . أما ثمنه فيعادل ١٠ شعتى \* تم تسديدها بواسطة قطع نسيج وسرير . وتم الكشف عن عقدين آخرين محررين على ورق البردى ، في قرية جبلين في صعيد مصر ، ويعود تاريخهما إلى أواخر الأسرة الرابعة . يتضمن العقد الأول بيع مبنى طوله ١٦ ذراعاً وعرضه ١٥ ذراعاً لتصبح مساحته زهاء ٥٦ متراً مربعاً وتم مقايضته مقابل ٥٥ ذراعاً من النسيج ، ولم تحدد قيمته المعدنية . أما أطوال المبنى الآخر كما وردت في العقد الثاني فهي ١٦ ذراعاً في ١١ ذراعاً أو حوالي ٤٠ متراً مربعاً ، وتم مقايضته مقابل ٢٤ ذراعاً من النسيج .

ولا يوجد تحت أيدينا عناصر موازنة ومقارنة معاصرة لعقود البيع هذه تساعدنا على تحديد القيمة المطلقة لهذه الممتلكات . وقد وصلتنا نصوص متنوعة من مختلف العصور تشير بشيء من الرضوح إلى تشييد المنازل وإقامة الأسلاك . إن \* وثائق أعمال متن \*\* المستخرجة من السجلات الرسمية تؤكد أن حقوق المالك تمتد

---

\* الشعتى يعادل ١٢/١ دين والدين يعادل ٩١ جراماً . ( المترجم ) .  
\*\* وهو من كبار موظفي الدولة القديمة . ترقى في مراتب السلم الوظيفي من أدنى الدرجات حتى يبلغ أرقى المناصب . ( المترجم ) .



إلى عدد من الأوقاف ذات الأغراض الجنائزية . وتعتبر هذه الوثائق حتى الآن أقدم مجموعة نصوص قانونية . فهي ترجع إلى أواخر الأسرة الثالثة وتحدد مساحة كل وقف وموقعه الجغرافي .

وقد ورد في وصف أحد الأملاك ما يلي :  
" طول الأرض ٢٠٠ ذراعاً وعرضها ٢٠٠ ذراعاً - أي حوالي ٤ هكتارات \* . ومسورة وزرعت أشجاراً جميلة . وجهزت أيضاً بحوض فسبح وزرعت بجواره أشجار تين وكروم عنب " .

وفي مدينة سنوسرت الثاني الهرمية عند اللاهون توجد لوحة حجرية تشير إلى أربعة منازل ذات مساحات متساوية وأبعاد كل منها ٣٠ في ٢٠ ذراعاً ، أي حوالي ١٥٠ متراً مربعاً . وقد وصلتنا شهادة حية من الأسرة الثامنة عشرة ، هي عبارة عن خطاب موجه من أحد حكام الأقاليم لرئيس الإنشاءات ويقول فيه :

\* ( ... ) ضع الحصر والموارض الخشبية اللازمة للمخازن والجزء الخلفي من المنزل فليكن ارتفاع الجدار ٦ أذرع - أما أبواب المخازن فليكن ارتفاعها ٥ أذرع . أما أبواب الدار فليكن ارتفاعها ٦ أذرع . وعليك أن تبلغ هذه التعليمات أيضاً إلى عامل البناء . ونبه عليه بسرعة الانتهاء من بناء المسكن ( ... ) وسوف ابلغك بالارتفاع الإجمالي للمبنى وعرضه ( ... ) وأخيراً سدد ثمن أرض المنزل للمالكها . واعلم أنني لا أود التعرض لمضايقاته عند حضوري أ " .  
وللأسف لم يحدد الخطاب ثمن الأرض .

---

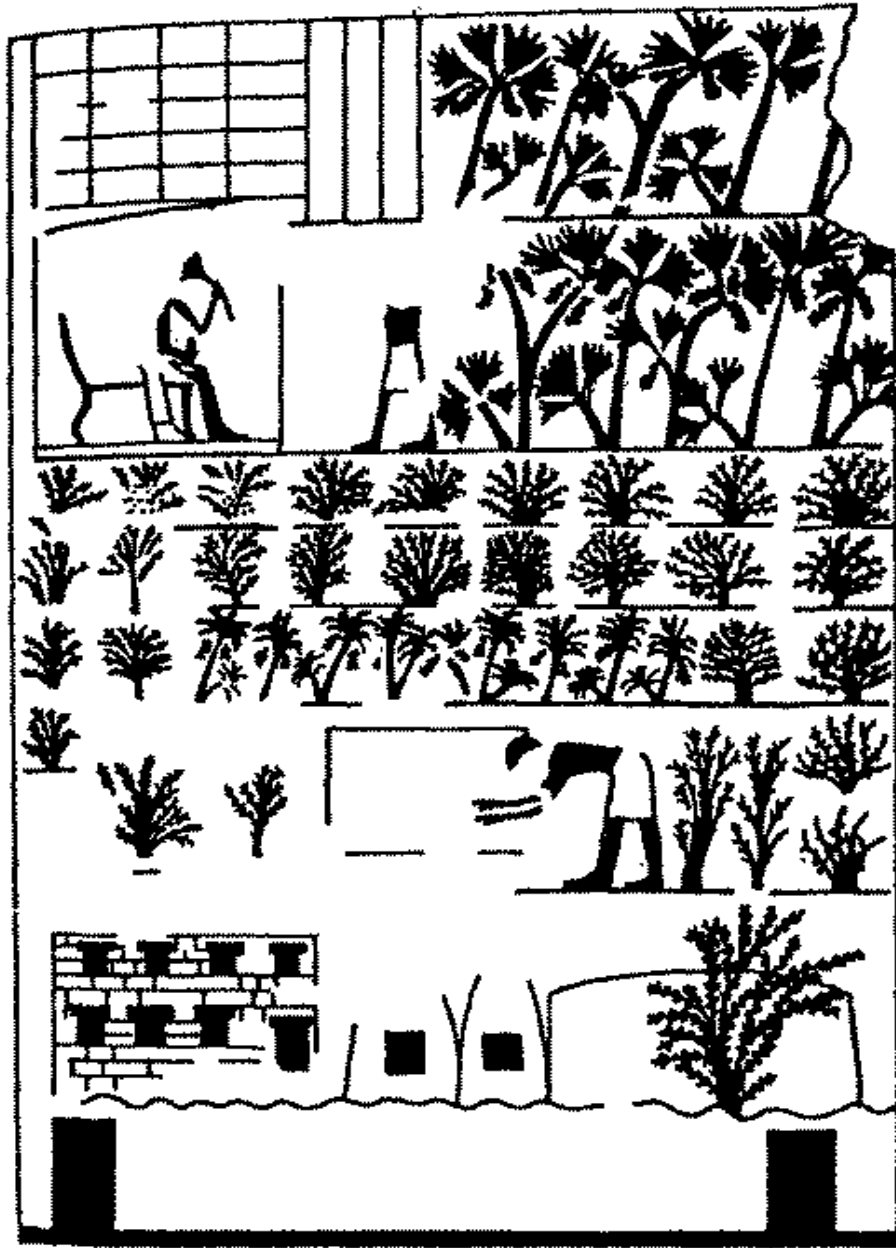
\* أي حوالي ١ ٣/٢ فدانا ( المترجم ) .

ومع بداية الدولة الحديثة ، ظهرت على جدران المقابر مشاهد المساكن  
فى إطارها الطبيعى من حوائق وبساتين .

فى مقبرة " أنينى " الذى كسان مهندس أمشوتب الأول  
والتحامسة \* . تم تخصيص جسدان كامل من مقصوراته  
الجنازية لمشاهد بيته الريفى . فنرى فى مقدمة المشهد جداراً من طين به  
بابان ، وقمة الجدار غير مستوية وتتخذ خطاً متعرجاً ، لقد كشفت  
أعمال التنقيب فى أرجاء مصر والنوبة عن جدران مماثلة . ويخفى الجدار  
الجانب الأسفل من المسكن ومخزين للفلال ومبنى منخماً أبيض ذا سقف  
على شكل قبة ، يتوارى خلف شجرة جميز . ويبدو لأول وهلة أن  
المسكن قد شيد بكتل منخضة من الحجر الجيرى . ولا غرو فى ذلك ، إذا  
أدخلنا فى الاعتبار العناصر الفخمة التى شيدها المهندس أنينى فى طيبة  
لسادته ملوك مصر . بيد أن الأمر ينطوى على مفارقة إذا لاحظنا أن  
القصور الملكية ذاتها قد شيدت بالطوب اللبن ، ولا تشتمل على الحجر  
سوى فى بعض العناصر المعمارية . فاحتمال استخدام الحجر فى تشييد  
مسكن أنينى يبدو إسرائفاً وترفاً لا مبرر له . ومن ناحية أخرى . فقد  
لقى قيام الرسام بتقليد الخشب والحجر فى رسوماته رواجاً وإقبالاً .  
نخلص مما سبق أن ما نشاهده هو مجرد رسم يمثل خطوط التقاء الحجر ،  
وقد صور على خلفية مطلية بالجير الأبيض . والمسكن طابق علوى ،  
ولكن المبنى بدون سطح . أما الصف الثانى من المشهد فيصور حوضاً  
محاطاً بشجيرات مرتبة فى تناسق تام . أما مناظر الصفوف التالية ،  
فتوحى بمشاهد تمثل حقلاً زرع بالخضروات مع غابة نخيل . وقد سجل

---

\* مقبرته رقم ٨١ فى جبانة الشيخ عبد القرنة فى طيبة الغربية وكان من كبار الموظفين  
فى عهد أمشوتب الأول وحتى عهد تحتمس الثالث . ( المترجم ) .



شكل ٦ : حديقة ومنازل " أنهنى " . مشهد من مقبرته فى طيبة .

بالتفصيل عدد المجموعات النباتية التي تجود بها الأرض حسب نوعيتها  
على شكل قائمة بها ٣٧٠ مجموعة و ١٢ قدماً من الكروم .

ولقد وصلتنا رسومات على قدر من التبسيط مثل واجهة المساكن ،  
أو مقطع طولى يظهر ما بداخل المسكن . كما كشفت الحفائر عن نماذج  
لمساكن الحضر والريف صنعت من الطين أو الخشب أو الحجر الجيري ،  
وهي مكونة من طابق أرضى فحسب ، أو من طابق علوى وسطح . وهذه  
الرسومات وهذه النماذج تساعد على فهم البقايا العديدة للمساكن التي  
كشفت عنها أعمال التنقيب فى بيئات مختلفة ومتنوعة .

ويصعب التمييز بين المنازل التي خصصت لشاغلها بعد دخولهم فى  
خدمة رب البيت ، وتلك التي تعتبر ملكية خاصة حقيقية . أما المنازل  
التي شيدت فى حرم أملاك الأوقاف الملكية أو الدينية ومساكن خدم  
المنازل ، فأمرها واضح ولا لبس فيه . ولكن ماذا نقول عن البيت الريفى  
الذى خصص للكاتب فى مسقط رأسه مكانة له على تفرقه . أما المنازل  
التي أقيمت فى وسط مدينة تل العمارنة فكيف نصنفها ؟ أياً كان  
الأمر ، فسواء اعتبرناها مساكن مخصصة لكبار الموظفين أو مساكن  
خاصة ، فمما لا شك فيه أنها مساكن فسيحة وفخمة وتعتبر شاهداً على  
مستوى اجتماعى رفيع وما يقترن به من ثراء . كما أن العقود التي  
حفظها لنا الزمن لا تخص فى المعتاد المساكن المملوكة للأفراد أو المياني  
الفخمة ، إنما تتعلق بالأكواخ والمخازن ومختلف المباني الملحقة والمقاصير  
الجنائزية ومقاصير الأعياد ، وكذلك قطع الأرض الصغيرة التي تتراوح  
قيمتها بين دهن واحد أو خمسة دينات من النحاس ، أو ما يعادل كيلو  
جراماً واحداً أو أربعة كيلو جرامات ونصف .

## ٤ - الممتلكات المنتجة : الأراضى والمواشى .

عند الحديث عن الممتلكات المنتجة ينهى التمييز بين نوعين : الأول ويشمل الأملاك الكبرى وقطعان الماشية الكبيرة العدد التى يستغلها أصحابها استغلالاً مباشراً ، والتى لا تدخل فى زمام أملاك الأرقام أو التاج . أما النوع الآخر فيشمل قطع الأرض الصغيرة التى لا تتعدى مساحتها عدة أروبيات \* ، أو رؤوس الماشية التى فى حيازة الفلاح أو أى فئة أخرى من السكان . ويتم استغلال هذا النوع من الملكية الصغيرة بواسطة أصحابها مباشرة . كما إن بنود العقود ووثائق الموارث لا تنص صراحة على قيمة الأملاك العقارية الضخمة . فالوثائق القانونية الأصلية التى بين أيدينا يتركز تنظيمها حول الأنشطة المتواضعة . أما النصوص المختارة التى تم تسجيلها على النصب الحجرية أو جدران المقابر فقد تشير إلى الضياع الكبرى والقطعان الضخمة ولكن من غير تحديد أسعارها . ونفس الشيء ينطبق على الهيئات الكبرى كذلك التى وردت فى بردية هاريس \*\* . إن أقدم تقييم موثوق فيه لأسعار الأرض قبل العصر المتأخر يرجع إلى عهد تحوتمس الثالث : فالأرض التى تبلغ مساحتها أوروبا واحدة تساوى ١٥ جراماً من الفضة وهو سعر بخس جداً ، بالمقارنة بأسعار العبيد ، التى سبق الإشارة إليها والأغنام . إن عقود بيع الحيوانات متوفرة بأعداد معقولة . ولكن كل عقد لا يختص إلا بعدد محدود من رؤوس الماشية . ويبدو أن سعر الثور

---

\* أروبيات : جمع أوروبا وهو الاسم الإغريقى لوحدة المساحة المصرية : السناة . وتعادل السناة المصرية ٢٧٣٥ متراً مربعاً أى الفدان يساوى واحد ونصف سناة ( المترجم ) .  
\*\* بردية هاريس هى أطول بردية معروفة إلى الآن ولها قام ومسيس الرابع بجمع قائمة بكل هيئات ومسييس الثالث إلى معاهد الآلهة المختلفة . ( المترجم ) .

أو البقرة في الأسرة الثامنة عشرة كان يتراوح بين ٤٥ و ٦٠ جراماً من الفضة . أما في عصر الرعامسة فكان سعر أحد الأتباع لا يقل عن ٢٧ جراماً ولا يزيد عن ٣٦ جراماً ، بينما سعر الثور يناهز ١٢٨ جراماً من الفضة . إن هذه الأسعار المبالغ فيها والتي تتجاوز بكثير إمكانيات المشترين تفسر في أغلب الظن ما اعتاده القوم من شراء بهيمة أو قطيع بأكمله بالمشاركة فيما بينهم . وفي نفس الفترة كان سعر الحمار الواحد يتراوح بين ٢٣ و ٣٦ جراماً من الفضة والخنزير بين ٤ و ٦ جرامات ، والعنزة بين جرام واحد و ٣ جرامات ، وذلك حسب عمر الحيوان وحجمه . ولو عقدنا مقارنة بين أرقام عصور مختلفة أو في حدود فترة زمنية واحدة للاحتفاظ فروقاً هامه في الأسعار . وترجع هذه الفروق إلى تسعيرة الحبوب المرتبطة بمستوى الفيضان . وهذا التفاوت في الأسعار يبدو ضخماً جداً عند مقارنة أسعار فترة الرعامسة وحدها . ومن الأهمية بمكان توخي الحذر عند مقارنة الأسعار . فتقلب الأوضاع الاقتصادية في البلاد بين عهد وآخر هو الذي يفسر هذه الفروق الملحوظة في الأسعار . لقد تضاعفت أسعار الحبوب ما بين ثلاث أو خمس مرات بين عهدي رمسيس الثالث ورمسيس السابع ، ثم انخفضت إلى النصف بين عهدي رمسيس التاسع ورمسيس الحادي عشر . وعلى العكس يمكن مقارنة المقتنيات التي يتم مبادلتها في معاملة تجارية واحدة . ومثال ذلك ما حدث في عهد تحوتس الثالث ، من مبادلة ٣ أرويات من الأرض ببقرة واحدة التي تحدد ثمنها بخمسة وأربعين ونصف جراماً من الفضة . وعلى أساس المعلومات المستمدة من الوثقتين الوحيدتين اللتين وصلتا إلينا ، يمكن القول أن قيمة الأرض ظلت ثابتة طوال عهد امنحوتب الرابع . وكان متوسط المحصول يقدر بعشر غرائر وذلك على امتداد التاريخ الفرعوني كله . وظلت تسعيرته ثابتة في عهد تحوتس الثالث . ومن ناحية أخرى كانت المقارنة بين سعر الأرض وقيمة ما تدره من محصول في عصر الرعامسة أمراً يصعب التأكد منه في حدود السنة الواحدة ، حتى لو احتسبنا قيمة المحصول قبل استقطاع الضرائب والبذور اللازمة لزراعة السنة التالية وإيجار الأرض - إذا كانت مستأجرة ، ومع أن عصر

الرعامة كان غنياً بالمعلومات عن سعر الحبوب ، إلا أنه لم يذكر شيئاً  
عن أسعار الأرض الزراعية .

## ٥ - المعادن والكماليات

كان سعر الجيوب ، إذن ، يستخدم أساساً لتقييم بعض الممتلكات وما تنتجه من مواد غذائية . ولكن مع اتساع حجم المعاملات التجارية استخدمت المعادن ولا سيما النحاس والفضة في تقييم السلع المتبادلة . وهنا أيضاً الجذر مطلوب ، فقد تغير سعر المعادن على مرّ الزمان ، ودلالة ذلك في الممارسة العملية هو اختلاف المقادير المتعادلة عند تبادل هذه المعادن . لقد انخفض سعر الذهب انخفاضاً ملحوظاً في عهد امنحوتب الثاني ، ومن الواضح أن هذا الإنخفاض كان يعود إلى تدفق الثروات مع ما حققته مصر من انتصارات في آسيا . وارتفع سعر النحاس ارتفاعاً طفيفاً في أواخر حكم رمسيس التاسع . ومع ذلك فإن الفترة الممتدة من بداية الدولة الوسطى وحتى أواخر الدولة الحديثة قد شهدت استقراراً واضحاً ، حيث كان مائة جرام من النحاس تعادل جراماً واحداً من الفضة ، وجرامان من الفضة يساويان جراماً واحداً من الذهب .

وعند فحص الوثائق الخاصة بتسديد قيمة السلع في الأسواق نلاحظ قائمة طويلة من مختلف المقتنيات معروضة لتسديد الفواتير المستحقة على المشترين . ويندر أن يطالب البائع بتسديد مستحقاته وفقاً لشروط معينة ، ومن أمثلة ذلك بيع الجارية السورية الشابة " چمنى حرى منتت " . ولكن في المتجر الذي احتوى على مختلف السلع والمنتجات كان البائع يقبل عادة ما يعرضه عليه المشتري . ويفضل هذا الأسلوب في المقايضة نعرف اليوم قيمة كل سلعة في العصور القديمة . وفي أقدم العصور ، كانت المعادن بمختلف أشكالها والأقمشة هما العملة التي شاع استخدامها في المبادلات وفي أضخم المعاملات التجارية التي حفظ لنا الزمن شيئاً عنها . كما استخدم الخشب أيضاً في المبادلات ، وكذلك الجلود والأثاث المنزلي .



ومن الواضح انتشار استخدام معدن النحاس ، وسيبكة البرونز في المبادلات التجارية . وقد جاء ظهورها على شكل أواني وأسلحة وآلات وأدوات زينة كالمرايا أو مختلف المعادن الخردة التي اختلطت بعضها ببعض . وفي حين اقتصر استخدام الذهب والفضة على الأواني الثمينة والحلى فقد ظل استخدام الرصاص والتصدير نادراً جداً في المعاملات التجارية وكان وزن المعادن أساساً لقيمتها إلى جانب ساعات العمل اللازمة لصنعها ومستوى الصنعة ، اللهم إلا إذا تم تصنيع المعدن ذاته بناء على طلب المشتري . وعلى أية حال فإن سلامة هذا التدبير تتضح من أن المعدن يمكن صهره وتحويله إلى أداة مختلفة ، وهذا ما أشارت به النصوص . أما الأحجار نصف الكريمة فمن النادر أن كانت تدخل طرفاً في المبادلات التجارية . و نعرف قيمتها بفضل الهبات التي قدمها رمسيس الثالث إلى الالهة العظمى في مختلف أنحاء البلاد .

وكانت الأقمشة تنسج أحياناً من أجل استخدامها في عمليات الشراء المرتقبة . ففي مقابلها يمكن الحصول على قطعة أرض لزراعتها على سبيل المثال . وتتحدد أسعار الأقمشة حسب طولها وحسب نعومة النسج ورقته . وبشكل عام كان سعرها في عصر الرعامسة يتأرجح بين جرام واحد أو ٥ر ٤٥ جراماً من الفضة . وكانت قطع القماش والملابس والمنسوجات على كل شكل ولون . من الشريط والحزام ، فالنقبة المشثة الصغيرة ، فالشال والطرح السميكة أو الرقيقة . أما الجلود فكان يصنع منها النعال والجزء العلوى من المقاعد والرّق والأكياس أو القرب . وكان سعرها يناهز ١٨ جراماً من الفضة حسب النوع والحجم . ولكن إنتاج الخشب كان نادراً وقليلاً ، إذ لا ينبت في مصر سوى أشجار صغيرة على غرار شجر السنط أو الأشجار التي تعطي الأخشاب اللينة على غرار النخيل . أما هياكل العمائر الضخمة ومصارع البوابات في المعابد أو صناعات الأثاث الدقيقة وأشغال تطعيم الخشب فكانت تحتاج إلى أنواع

معينة من الخشب كخشب الصنوبر أو الأبنوس . وقد اقتضت الضرورة أن يجلبها المصريون من الخارج . فصارت ألواح الخشب العادية وقطع الأثاث المصنوعة منها منتجات تحظى بتقدير الناس وإعجابهم . وقد أمكننا حصر معلومات كثيرة عن أسعار ألواح الخشب والمنتجات الخشبية والآثاث ، ولكن أى جدول للأسعار يفقد دلالاته ومغزاه إذا لم تذكر نوعية الخشب المستخدم فى صناعة هذه المنتجات وأطوالها وأشكالها .

وبعد أن رصدنا كل هذه المقتنيات وأسعدنا الحظ وأمدتنا ببعض المعلومات حول قيمتها النسبية أو المطلقة ، فهل نجد ضالتنا فننتوصل إلى تحديد مستوى معيشة مختلف فئات المجتمع المصرى القديم ؟ إن معلوماتنا الحالية لا تساعدنا على ذلك . وحسبنا أن نخطو الخطوة الأولى فى هذا الدرب ، علنا نصل إلى هدفنا المنشود .

الفصل الرابع

---

البيئة المصرية

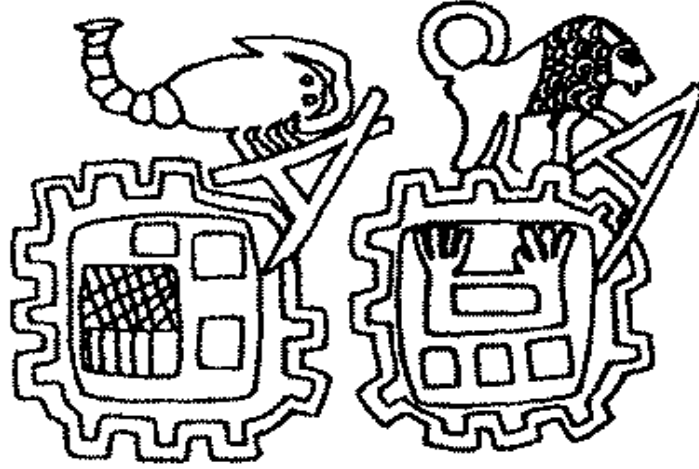
---



عندما يستعرض المصري القديم مقومات البيئة التي يعيش فيها ، أو  
يصور منظراً طبيعياً ، أو يسترجع ذكريات مدينة . فإن له هدفاً واضحاً  
محدداً ، وهو ببساطة حصر الرموز التي تتكون منها بيئته المهنية أو  
مقننياته ، أو تحديد معالم حدث معين أو توضيحه بالصورة أو الدفاع  
عن موضوع فكري أو عقائدي . فهل تصل بنا السذاجة إلى تصديق كل  
ما يرويه ؟ فنسلم دون تمحيص بالشاهد التي ينقلها إلينا بخلفيتها  
الطبيعية أو في إطارها المصطنع . وهل ينطلي علينا بعد ذلك زيف  
أوصافه ؟ ولكن لا يسعنا إلا أن نعتمد على مختلف أوجه هذا الفن  
النمطي ، إذ بمضاهاة شواهد الشواهد التي جمعها علم الآثار ، نتوصل  
إلى بحث بعض العناصر التي شكلت البيئة التي عاش فيها المصري القديم  
من ناحية ، وكيف صورها هو نفسه من الناحية الأخرى .

### ١ - التجمعات السكانية

مع مطلع تاريخ مصر انتشرت في أرجاء البلاد مراكز حضارية  
حقيقية محصنة . ويظهر ذلك بوضوح على صلايات العصر الثيني التي  
تصور ملناً نهضت على أساس مخطط معماري مربع واضح تميل زواياه  
إلى الإستدارة ويحميها سور مستن . ودراسة أطلال مواقع أقدم  
التجمعات الحضارية في تاريخ وادي النيل ، ومنها على سبيل المثال  
أبيدوس والفتين ، نتأكد من سلامة الرسومات المبسطة غير المنتظمة التي  
توفرها لنا التصاوير القديمة وتميط اللثام عن بدايات فن تخطيط المدن .  
وكانت هذه المدن عواصم للأقاليم ، وترجع شهرة بعضها إلى



شكل ٧ : مدن مصرية . تفصيل عن صلاية المدن . المتحف المصرى بالقاهرة .

عوامل دينية مثل مدينة أبيدوس . ويشكل البعض الآخر نقاطاً استراتيجية لا يمكن الإلتفاف من حولها على غرار الفتين . وانتشر في مصر العديد من المدن لها مستوى عاى من الأهمية ، يستحيل علينا فى الوقت الراهن تقدير عدد سكانها ولو بصفة تقريبية . وبرز من بين هذه المدن مدينة منف أولى عواصم مصر الموحدة .

إن الأوصاف التى أوردتها النصوص المعاصرة لتأسيس منف وتطورها هزيلة وشحيحة . ويبدو أن إسم " الجندار الأبيض " الذى عرفت به قد جاها من السور الذى كان يحيط بأحيائها الرئيسية . وقد شيدت المدينة فى منطقة انتشرت فيها الوديان . ومن المستبعد أن تكون المدينة حتى فى عصورها القديمة قد انحصرت فى مساحة صغيرة . كما نعرف أيضاً أن المصريين قد شيدوا سداً لحماية الأحياء السكنية من طغيان فيضان النيل كل سنة . وذاعت شهرة منف ، حيث كانت المقر الرسمى لملوك مصر طوال الدولة القديمة . وفى نهاية المطاف عرفت الأجيال اللاحقة العاصمة بإسم " من نفر " ، وهو إسم مدينة بيبى الأول الهرمية التى شيدت فى الغرب على ساقه جبانة سقارة الملكية . وجاء الإغريق ليحوروا الإسم إلى

" مكنيس " وأهملت المدينة أكثر من مرة وحلت محلها عواصم أخرى وإن لم تنافسها في موقعها المتميز ، فظلت مع ذلك أولى المدن الإدارية في البلاد ، وقد ساعد موقعها عند رأس الدلتا على تطوير مينائها \* ، ويرجع الفضل في زيادة أهميتها التجارية والشكيبكية في عصر الدولة الحديثة ، إلى ترسانتها البحرية ومخازنها الضخمة .

وظلت منف النموذج الأمثل لأمهات المدن ، ولم تنافسها الشهرة سوى طيبة التي احتلت مركز الصدارة بحلول الأسرة الحادية عشرة ، واختارها ملوك الأسرة الثامنة عشرة مقراً ورسماً لهم لقرها من مسقط رأسهم . إن معارفنا للأحياء السكيبية طفيلة إذا قورنت بما نعرفه عن المناطق المقدسة التي شيدت فوقها المعابد والمساحات التي تضم جياتات المدينة . ورغم ذلك فإن ما تبقى من أطلال هذه المدينة العظيمة يعطينا أكثر من مجرد فكرة بسيطة عن مجدها الفاهر .

كان البر الأيمن ( هو البر الشرقي ) من النيل يضم القصر الملكي حيث مقر الحكومة ومنازل أعيان البلاد ونبلاتها إلى جانب مقاصير آمون وموت وخونسو \*\* ومونتو \*\*\* . لقد شيد تحوتس الأول خزيته قرب حرم معبد مونتو . واحتفظت مقابر الأعيان المنتشرة في البر الغربي على تصاوير بعض المنازل الحضرية ذات الطابق الواحد يعلوه سطحاً . ويحيط به النخيل والشجيرات التي تميزت بها الأحياء الراقية . وبينما لا توجد

---

\* وهو معروف بإسم " برزغر " أي الإبحار الجميل . ( المراجع ) .  
\*\* وهي المعروفة اليوم بإسم معابد الكرنك وأهمهم معبد آمون - رع .  
\*\*\* مونتو : كان إلهاً رئيسياً منذ القدم في طيبة . ومنذ الدولة الحديثة عيد كاله للحرب وحامى للملك .. وكان إلهاً محلياً في أرمت والطور والمدامد . ( الترجم ) .

مشاهد للأحياء المتواضعة فإن هذه المقابر تزخر بالمشاهد التي تصور ضفاف النهر بفتنته وسحره الأخاذ . وقد غصت بالتجار والحمالين الذين يتجولون وسط الهوائيت الصغيرة التي تنهض على مقربة من السفن الراسية . ولعل أبرز مثال لذلك مرمى معبد آمون عندما تنتقل إليه منتجات أملاك الإله المنتشرة في طول البلاد وعرضها .

وفي الير الغربي مازالت أطلال المعابد الجنائزية باقية على امتداد حدود الأرض الزراعية وفوق التلال الصحراوية المعززة بهيئات الملوك والأفراد . وفي الأطراف الجنوبية تقع أطلال قصر أمنحوتب الثالث الضخم والميناء الذي يخدمه ، على مقربة من بقايا موقع عسكري يقع على حافة الصحراء . ومن بردية من عصر الرعامسة ، نعرف أن مدينة طيبة الغربية الكبرى كانت تمتد على مسافة عدة كيلو مترات بمحاذاة النيل وتضم مساكن الكهنة والحداين والأطباء وصفار الموظفين وبعض المسئولين المحليين إلى جانب المراكز الدينية وحوائيت الأغراض الجنائزية . وقد صورت بعض هذه المساكن على جدران عدد من المقابر محاطة بالحدائق الصغيرة . أما قرية عمال الجبانة فتقع في بطن أحد الوديان الصحراوية بعيداً عن وادي النيل ، وتعتبر أسوارها المتتالية وجدران أحدث مساكنها من أفضل ما أبقى لنا الزمن ، وخير شاهد على العمارة المدنية في الدولة الحديثة . وهذه الأسوار المتتالية لا تشكل تحصينات لحماية بل ترسم حدود التجمع السكني فقط . وتستند المساكن المزدوجة إلى هذه الأسوار باستطالتها وضيقها وكأنها تتزاحم متكأة بعضها على بعض ، وتخرقها حارات من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب . وإذا عاشت هذه القرية طويلاً على مر القرون فإن شكلها الخارجي يبدو عشوائياً وغير منتظم ، ولا يوجد فيها أرض فضاء أو مسطحات خضراء . وقد تتجمع صوامع الغلال خارج الأسوار ، ولها يحتفظ أهل القرية بمخزون الحبوب اللازم لغذائهم . وهناك أيضاً شيدت



## الهيكل والقاعات المخصصة للاجتماعيات .

ولم تصلنا أوصاف أدبية عن مدينة طيبة ، شأنها في ذلك شأن منف . ومع ذلك فقد أشار الكتبة عند حديثهم عن مقر ملوك الرعامسة في شرق الدلتا إلى ما اتصف به هناك النموذجان من أوصاف . فيقولون : " أمز صاحب الجلالة - له الحياة والرفاهية والصحة - بأن يشيد له مقر جديد أطلق عليه " العظيم الانتصارات " . ويقع بين بلدان المشرق ومصر حيث يتوفر الطعام ومواد الغذاء . ويشبه تخطيط مدينة طيبة وهو خالد على مر الدهور على غرار مدينة منف . والشمس تشرق وتغرب في أفقه . ويترك الناس جميعاً بيوتهم ليقيموا على مقربة منه . الحى الغربى هو حى آمون . والحى الجنوبى للإله ست . والحى الشرقى للإله عشتارت \* أما الإلهة واجت \*\* فتسكن الحى الغربى . وقصر الملك أشبه ما يكون بأفق السماء ... "

ينتمى هذا النص إلى أدب المناسبات ، وهو غنى بالاستعارات البلاغية . ولكنه هزيل وفقير من ناحية أوصافه . وقد وصلنا نص آخر يدور حول نفس الموضوع وقد توخى عرض معلومات دقيقة ولكن فيما يتعلق بموارد المدينة التى لا تبض . ولا يشير النص إلى الحدائق والبحيرات التى تزينها ولا إلى الريف والميناء إلا عرضاً .

---

\* آلهة أسبورية . قدمت إلى مصر خلال الأسرة ١٨ وأصبحت زوجة الإله ست .  
( المترجم )

\*\* واجت : إلهة من الدلتا اتخذت شكل الكوبرا . عبدت في مدينة بوتو ( تل المراعين حالياً - شمال الدلتا ) . ( المترجم ) .

ورغم ما يؤكد الكاتبان في هذين النصين فإن الفجوة شاسعة بين ما يقولونه وبين واقع المجموعات السكانية في العاصمتين الشهيرتين اللتين تعتبران نموذجاً واستثناءً . وحيث تعذر علينا عمل حصرٍ بفئات التجمعات السكانية في مصر ، فسنكتفى بالمحديث عن التقريظ الذي خصه الكاتبان لوصف مدينة \* پر رعسو \* \* فتؤكد أن هذه التجمعات السكانية قد احتفظت بروابط وثيقة في جميع العصور مع المناطق الريفية . إذ لا يمكن للمدن بما في ذلك العواصم ، كما لا يمكن للقرى أن تعيش في عزلة تامة عن الحقول ويسانين الفراكه التي تلتف من حولها والحدائق المنتشرة في قلبها . ولذلك كان من الصعوبة بمكان أن نتعرف بوضوح على المدن الريفية المحض وسط هذه التجمعات السكانية

---

\* هي عاصمة رمسيس الثاني المعروفة باسم \* بي رمسيس \* أو \* دار رمسيس \* التي شيدت على أطلال \* أرابيس \* عاصمة الهكسوس . وهي تحتل الآن المساحة التي تضم إلى جانب تل الضبعة بشرق الدلتا عزبة رشدي الصغيرة ، والختاعنة وقتشير ، والأراضى الواقعة بين هذه القرى جميعاً ( المراجع ) .

### ٣ - الويفد

لا تهتم معظم النصوص بالريف سوى كمصدر للغذاء اللازم للحضر  
" فالبرك تملح بالأسماك وبحيراتها تغطيها أسراب الطير ومروجها خضراء  
بما فيها من نباتات إلخ .. " كذلك الصور التي تغطي جدران المقابر للا  
وطبقة لها سوى إظهار هذه المقولة . فتكرار تصوير الحقول وأشجار  
البراكة والكروم تأكيد على استكمال قورها وانتظار ثمارها . وتصوير  
البرك تعبیر عن وصف القنص والأسماك والمراعى . ولكن يحدث فى  
بعض الأحيان أن يصبح المقصود من تصوير منظر طبيعي أمر آخر غير  
مجرد التفكير بالإمكانات الاقتصادية التي ينطوى عليها . فعالم النبات  
والأحياء المائية من المواضيع التي اجتذبت الفنانين والرسميين وسحرت  
البايهم . إلا أنها استخدمت أيضاً كعناصر زخرفية فى تصور ملقطة \*  
وتل العمارنة . وكإطار لوصف أحداث الأساطير المصرية . وتسجل جدران  
الهيكل أحياناً مناظر مرائب الحيرانات المقدسة . ومثال ذلك مريض  
غزلان الآلهة " عنقت " فى جزيرة سهيل \*\* . وخلفية  
العديد من الرسوم التوضيحية لفصول كتاب الموتى تمثل الطبيعة . كما  
أن صانع النماذج الحجرية له أحياناً نزعات موسوعية على نحرار مناظر  
" قائمة لفصول السنة " فى معبد الشمس الذى أقامه " نى وسر رع " فى  
أهر غراب \*\*\* . وكذلك " حديقة النباتات " التى أقامها تحوتس الثالث

---

\* تقع ملقطة فى الطرف الجنوبي من البر الغربي لمدينة الأقصر على حافة الأرض  
المتزعة ( المترجم ) .

\*\* تقع جزيرة سهيل على بعد ٤ كيلو مترات جنوب أسوان وكسنت " عنقت " ( انركيس باليونانية ) الهنبا الرئيسية . ( المترجم )

\*\*\* نى وسر رع - إنى هو خامس ملوك الأسرة الخامسة . أما أهر غراب تقع بعبانة  
منف جنوب أهرامات الجيزة ( المترجم ) .



شكل ٨ : عرض الغزلان المنسمة للإلهة " عنت " مشهد من مقبرة " نفر حوتب " بدار المدينة .

فى الكرنك . وحتى مشاهد الزراعة وتربية المواشى التقليدية ومشاهد الصيد البرى والصيد البحرى هى أيضاً تكشف فى أغلب الأحيان عن شطحات من جانب الفنان . فالحقل الذى يبدو لأول وهلة خال من العيوب يكتشف فيه المدقق بعض الأعشاب الرديئة . ونرى أسراباً من العصافير الملونة فوق شجرة سنط ، أو تمساحاً قابلاً فى قاع مجرى مائى بينما قطع يعبر عند مخاضة \* . أو عجلاً يحنو على أمه قبلامسها بلسانه .

ومجمل هذه التفاصيل الصغيرة التى نكتشفها كل على حدة ، تسهم فى بعث الحياة فى مشاهد ريفية فرضت عليها مواضيع فطية .

ويصبح التلميح التصويرى أحياناً أكثر عمومية وأقل عقلانية فى سبيل إظهار منظر طبيعى أكثر شمولاً . ولكن مع مزيد من الدقة فى تحديد أوصاف وشكل المكان تجسم الأرضية وتتخذ أبعاداً مادية وهذا بتحديددها ، كما جرى العرف بخط أسمر . ويتخذ مساراً متعرجاً عبر الحقول والأشجار ليوحى بتجسيم الصورة ، وكذلك تمنحنى مجارى المياه وتتعرج وتتقاطع فتقسم أرضية المشهد إلى عدد من الصفوف غير المنتظمة فتعطينا انطباعاً بأن للمشاهد أحجاماً وأبعاداً مختلفة . إن هذه المحاولات التى نمت على استحياء لتجسيم الناظر الطبيعية قد تبقى غير قادرة على استشارة مخيلتنا بدون الإستعانة بما تقدمه دراسة البيئة الطبيعية لمصر المعاصرة . وقد سارت هذه الدراسة فى خط مواز مع دراسة باطن الأرض من خلال عمليات حفر التربة باستخدام أساليب البحث الجيولوجى إلى جانب دراسة تغيرات مجرى النهر . إن الوادى عريض أحياناً فى جنوب مصر . ولكنه يضيق فى أماكن أخرى ويحفه من الجانبين هضبتى الصحراء الشرقية والغربية . وإذا انتقلنا من إقليم إلى

---

\* وهو موضع ضحل الماء يخرج منه الناس مشاة أو ركباناً . ( المترجم ) .

آخر ننتقل من بيئة طبيعية سهلة إلى أخرى جبلية . ويستمد الريف في مصر مصدر حيويته الحقيقية من وجود نهر النيل والقنوات التي تتفرع منه . وكان الوادي ينحصر من قبل في المناطق التي تغمرها مياه الفيضان مع حلول الربيع . وكانت الأراضي المنخفضة مهددة سنوياً بارتفاع منسوب المياه فيها . ولذا شيدت المدن والقرى فوق الروابي ، سواء كانت مدرجات رسوبية أو تلال أو أراضي مرتفعة . والواقع إننا لا نعرف سوى القليل عن المساكن الريفية رغم ما وصلنا عنها من أوصاف رائعة :

" لقد شيد " رعيا " داراً جميلة على شاطئ النهر . قبالة مدينة أطفيج ( ... ) ( ٤ ) وتحيطها الأشجار من كل جانب .. وتجري قناة أمامها ، ويشمل الهدوء المكان . ولا يقلق مضاجع أهل البيت سوى هدير الأمواج . ومنظر النار يسعد النفس . وتغمرنا البهجة بمجرد أن نعبث باب المنزل . وإذا دلفنا إلى قاعات الاستقبال وصلنا إلى ذروة المتعة فكفائف الأهواب والشبابيك مصنوعة من الحجر الجيري الجيد المجلوب من طره مدون عليها ومنقوشة . وقد تم تجديده مصاريع الأهواب . وطعمت الجدران باللآز ورد . وامتلات الصوامع عن آخرها بأجسود أصناف الخيوب والغلال . وتقلأ سظائر الطيور بالأوز الرمادي اللون . وتفص الزرايب بالأبقار . بينما أعدت بركة لتربية وتكاثر البط والأوز . وفي الإسطبل تقف الجياد . بينما ترسو القوارب والصنادل والسفن المعدة لتقلل الماشية عند الشاطئ .. "

صحيح أن العرض السابق بدأ بالحديث الشيق والشعور بالبشر والسعادة عندما يتعم الإنسان بالإقامة في مثل هذه الضيعة . ولكنه سرعان ما يتطرق إلى استعراض ممتلكات رب البيت دون أن يحيد عن الموضوع الأصلي .

وتختلف البيئة الطبيعية في الدلتا عن مثلتها في الوادي . ففي الدلتا تكثر المجارى المائية والمستنقعات والبحيرات . وتضم المملكة النباتية البردى والبوص ومختلف النباتات المائية على وجه الخصوص إلى جانب شجر الكروم والفواكه والبساتين . كما تمتد بمحاذاة ساحل البحر المتوسط الملاحات التي لم يتوقف استغلالها حتى الوقت الحاضر . وتنتشر التجمعات السكانية في النجوع . وقد روعي عند تشييدها تضاريس الأرض وأن تكون بعيدة عن مياه الفيضان . فقامت فوق الراوى الطبيعية التي تعرف بالجزر أو شطآن الترع والقنوات بعد تعليتها بالتربة المتخلفة عن عمليات حفر وتطهير المجارى المائية . ولأسباب تاريخية ودينية وحجارية تأسست مدن رئيسية على فروع النيل الكبرى . وبمرور الزمن تكونت وراى صناعية لأقيمت المساكن الحديثة على أطلال المساكن القديمة ، وهو ما نطلق عليه بالعربية " كسوم " أو " تل " .

ففي الدلتا والراوى على حد سواء تعتبر شبكات القنوات والترع عنصراً أساسياً في تكوين البيئة الطبيعية كما تؤثر في تشكيلها . وهذه الشبكة المائية هي مصدر الحياة والمأوى الدائم للأسماك وقنص الأحياء المائية . وهي تمثل أول شبكة مواصلات تربط أطراف البلاد إلى جانب الدروب القديمة . وقد ارتبطت عملية تصوير شبكة المجارى المائية بوظيفتها في النقل والمواصلات . ومن هنا تنبع أهمية الأسطول النهري في مصر القديمة . وقد ترتب على ذلك ، الاهتمام بإعداد أحواض السفن في الموانئ والمراسى لاستقبال جميع السفن على اختلاف غواطسها . ومن هنا ظهرت ضرورة بناء الترسانات البحرية والمخازن والورش والأسواق الصاخبة . ولم يميز فن التصوير بين ضفاف النهر وشطآن الترع أو القنوات التي أصبحت مناطق جذب يلتقى فيها سكان القرى وملاحى السفن القادمين من داخل البلاد أو خارجها .

وقد يحدث أحياناً أن ينسى المصريون الظروف المادية ومتغيراتها  
تاركين العنان لخيالهم . فتفتقت قريحة أدباء الدولة الحديثة عن أعذب  
" أغاني الحب " وأكثرها تعبيراً عن الموقف النفسى تجاه الطبيعة  
المحيطة . وتدور وقائع هذه الأعمال الأدبية فى الريف . وهى مستوحاة  
من الأشجار والحداثق المختلطة بالشباب لتعطى لغة شعرية رقيقة منمقة ،  
تقول :

" ( ... ) أنا ملك يديك كما الأرض

التي خططتها زهوراً

ونباتاتاً يعبيرها الرقراق .

ما أجمل الترع والقنوات شرايين الأرض

التي حفرتها يديك

فاجتذبت نسيم الشمال المنعش ا

ياله من متنزه رائع ( .. ) "

( نقلاً عن الترجمة الفرنسية للنص المصرى القديم

P. Posener - Kri`eger , d, apr`ess. Schott les  
chants d`amour de l` Egypte Ancienne , Paris, 1956 ,  
P. 77 )



### ٣ - الصحارى

شغلت الزراعة مساحة ضيقة من أراضي هذا البلد ، فطغت المساحات الشاسعة من الصحارى القاحلة الجرداء على حياة المصرى اليومية . والصحارى أنواع : أولها الصحارى المتاخمة للوادي التى تبدأ حيثما تنتهى الأراضى المروية بمياه الفيضان . إنها صحارى الجيوانات حيث النباتات الشوكية والعشبية . ثم تنتقل بعد ذلك إلى الواحات وهى النقاط المتبقية فى الصحراء الغربية من وادى نهري عتيق مواز لنهر النيل . ثم تصل إلى الجبال الغنية بثرواتها المعدنية المتنوعة وتقع على مسافات مختلفة من المناطق المأهولة بالسكان ، وينتهى بنا الطاب إلى المناطق المتاخمة للحدود أو المطلة على البحر الأحمر وتحميها الحصون أو توجد بها الموانئ ، أو حيثما يعيش البدو الرحل وتجذبهم سهول مصر تارة أو يعادون سلطاتها تارة أخرى .

ولم تهتم المقابر سوى بتصوير النوع الأول من هذه الأراضى الجرداء ، سواء فى المشاهد التى تمثل المقبرة ذاتها أو ما يرتبط بها من احتفالات أو فى المناظر الرمزية التى تمثل البقرة جحور وهى خارجة من جبل طيبة ، أو فى مشاهد القنص وتربية الأغنام . وهذه المناطق تحتل منزلة وسط بين الأراضى الزراعية والصحراء الحقيقية . فهى أقرب إلى السفانا أو بيئة الإقليم \* الساحلى \* منها إلى المناطق الصخرية الجرداء فى الجهات الأكثر بعداً .

أما واحات الصحراء الغربية فكانت منذ عصور ما قبل التاريخ أهلة بالسكان ولكنها استعمرت منذ الدولة القديمة . وتمتد الواحات إلى الجنوب فى نطاق متخفض مستعرض فى اتجاه دارفور . واشتهرت تلك الواحات

---

\* نسبة إلى الساحل ، وهى مناطق قريبة من السواحل الشمالية فى تونس والجزائر .  
( المترجم )

التي كانت تدار بواسطة حكام ، ببعض أراضيها الزراعية . وتعتبر الكروم من أهم موارد هذه المراكز الإدارية البعيدة وقد اكتشفت مؤخراً في بلاط ، عاصمة هذه المراكز الإدارية بالواحة الداخلة . وهي ترجع إلى أواخر عصر الدولة القديمة وتغطي مساحة ثلاثة هكتارات \* . ويحيط بها سوراً مربع الشكل ، وتمتد الضواحي خارج هذا السور وهي محاطة أيضاً بأسوار وإكتشاف اللواخير يتأكد لنا وجود حرفه محلية متطورة نوعاً ما . كما تدخل قائمة مناظر الواحات لقطعان الحمير وملح النطرون المنتج في أكثر الواحات تطرفاً نحو الشمال \*\* وهو من المنتجات اللازمة للمارسات الجنائزية المصرية .

وقد تمددت الثروات المعدنية في الهضبة الجبلية التي تحيط بوادى النيل ، وتنوعت طبيعتها الجيولوجية . ومنذ وقت مبكر كانت هذه الهضبة مسرحاً نشط لأعمال المحاجر والمناجم التي استقبلت بصفة دورية البعثات التي تتفاوت أهميتها حسب الظروف والحاجة . وفي بعض العصور وطبقاً للسياسة التي يرسنها ملوك مصر تزايد استغلال بعضها دون البعض الآخر . وقد احتفظت هذه الأماكن ببقايا استخراج الحجر والعمادن وغيرها من الخامات . وبقيت أطلال مساكن العمال والهياكل التي شيدها هؤلاء الرجال سواء كانوا جنوداً أم عمال غير مهرة أو حرفيين . إذ كان عملهم يقتضى أن يعيشوا بعيداً عن عائلاتهم وآلئهم لفترات قد تطول أو تقصر .

---

\* أو ما يعادل سبعة أقدنة ( المترجم ) .

\*\* كلمة ( واحة ) مصرية قديمة وكانوا يطلقونها كما جاء في نصوص معهد أدفو على سبع واحات هي : الخارجة والداخلة والفرارة وواحة بين الفرارة والبحيرة ثم البحيرة وسيرة بواحي النطرون . أما الآن فالواحات المعروفة في الصحراء الغربية خمسة فقط . ( المترجم ) .

أما التصوير الوحيد لهذه المناطق الجرداء الذي سلم من عوادي الزمان فيمثل ما يشهد \* خريطة للبحث عن كنز \* لقطاع من وادي الحمامات في الصحراء الشرقية . والخريطة مرسومة في خطوط مبسطة على لفافة من ورق البردي . وقد رسمت الجبال مستوية على جانبي الدروب التي تشق المنطقة وتوضح مواقع مناجم الذهب والصفور التي تحتوي معدن الفضة وأكواخ عمال المناجم وموقع بئر ومعبد الإله آمون ونصب حجرى للملك سيتي الأول الذي شيد سلسلة من مراكز توفير الماء على امتداد أحد الدروب صوب هذا الموقع ، لتيسير رحلات الفرق المرسلة للعمل في مناجم الذهب الأخرى . وتتولى فرق خاصة من الشرطة مسئولية حراسة هذه المراكز الإدارية .

وتنتشر قبائل البدو ذات الأصول المتباينة ، عند سواحل البحر الأحمر الجرداء وفي شبه جزيرة سيناء وعند أقاليم الحدود الليبية في غرب الدلتا وفي التربة السفلى \* . وقد كانت تعيش في أمن وسلام معتمدة على الرعى وتربية المواشى . وقد كانت هذه القبائل تهدد المصالح المصرية في القطاعات الاستراتيجية بين الحين والآخر ، مدفوعة باحتياجاتها الشخصية أو بضغط من العناصر الخارجية . فالحملة التي أرسلها يهيى الثانى إلى سواحل البحر الأحمر قد أهدت عن بكرة أبيها على أيدي البدو ، عندما كان أفرادها يهيمون بتجميع أجزاء السفن التي جاءت من الوادى عبر دروب الصحراء والتي كانت ستبحر بهم تجاه بلاد بونت . ولصد هذه الهجمات والمهاجرين الأكثر خطورة شُيدت التحصينات في مختلف المناطق الحدودية مع طول الدولة الوسطى . وكانت إلى جانب مهمتها في الحفاظ على أمن البلاد كانت تقوم أيضاً بدور المراكز التجارية في المبادلات

---

\* أي التربة الشمالية الغربية من أسوان ( المراجع )

الاقتصادية المنتظمة بين مصر وجيرانها . وفى عهد سيتى الأول شن حملة ضد البدو الشائرين فى شمال سيناء . وبهذه المناسبة تم تصوير الحصون التى شيدها الملك فى هذه المناطق فى ترتيبها الجغرافى على الجدار الشمالى من بهو الأعمدة بمعبد الكرنك . فتبدأ بمركز الحسرد فسى " تارو " \* ، المطل على قناة السويس حالياً ، وحتى تخوم فلسطين . وقد وصفت فى دقة متناهية عمليات البناء ومكان كل بئر وكل شجرة . كما وصلتنا يوميات أحد ضباط مركز الحراسة فى هذه التحصينات من عهد مرنبتاح \*\* . وهى تشهد على أهمية النشاط فى مجمل هذا القطاع . خلاصة القول ، أن صحارى مصر لم تكن أرضاً قفراً ، كما قد يتصورها البعض .

---

\* مدينة المنطرة حالياً . ( المترجم )

\*\* هو ابن رمسيس الثانى وحفيد سيتى الأول من الأسرة التاسعة عشرة ( المراجع ) .

## ٤ - الأجانب

ارتبط المصري مع جيرانه بعلاقات مبهمة شابتها المفارقات . فبيشما اجتذبت بلدان اعتبرها بلداناً أجنبية إلا أنه في نفس الوقت كان يخشى المغامرة التي كانت تعنى في العصور القديمة شدّ الرجال إلى البلدان البعيدة والسفر إليها . أما وجهة نظر الإنسان العادى فهي تنطلق بكل بساطة من إمكانات مصر العسكرية ، فترى أن الأجانب يشكلون تهديداً خطيراً على مصر ولكنهم أيضاً مصدر عظيم لزيادة ثروات البلاد . وفي أواخر الدولة القديمة ، قبل الكثير من حكام الأقاليم في الفنتين أن يسيروا على رأس حملات إلى بلاد النوبة بعد أن تغلبوا على مشاعر التردد والقلق التي أثارتها في نفوسهم شعوب تلك البلاد . وإن لقي بعضهم حتفهم هناك . وكلفهم بعض الملوك باستشكاف دروب جديدة . فجعلوا من رحلاتهم منتجات متنوعة لم تعرفها مصر من قبل . واضطروا أحياناً إلى خوض المعارك . كما كانوا أحياناً طرفاً في المواجهات بين شعوب وأجناس مختلفة . وعقدوا الاتفاقيات مع بعضها . وتلاحظ أن جميع التراجم التي روت لنا قصة هذه المآثر تغفل أى وصف للمناطق التي مرت بها هذه الحملات أو عادات شعوبها وعقليتهم . وسارت علاقات مصر بجيرانها الآخرين على هذا المنوال .

وعلى نحت من الأسرة الأولى بصخرة بواى مغارة . يظهر فرعون وهو يفتك بعدوه . وظلت هذه الصورة رمزاً يقى مصر من أعدائها ويخلد هيمنتها على جيرانها . ووصلنا ابتداء من الأسرة الخامسة أسلوباً سحرياً آخر يحمل معنى مشابهاً : فقد ظهرت تماثيل صغيرة هي تعاويذ للدفع الشر ، صنعت من الخشب أو الطين النى أو المحروق أو من الشمع أو الألبستر أو من الحجر الجيري . وقد دونت عليها بالكتابة الهيروغليفية قوائم أسماء الأمراء والأميرات التي تشير إلى بلدانهم . وقد كتبت عليه

عبارات مشينة بهدف الإضرار بهم من خلال المادة التي صنعت منها التعمية ، كما استهدفت هذه العبارات دوا ما يمكن أن يواجهه المرء من أخطار . وقد تحمل الأواني محل هذه التماثيل الصغيرة كما توجد صيغ سعوية غيرها . فإثناء الشعائر التي تقام احتفالاً بتأسيس العمارات أو المجموعات المعمارية يتم تحطيم عدد من هذه التماثيل ويلقى بها في حفرة أعدت خصيصاً لهذا الغرض . فتحمى المبنى من قوى الشر المحتملة أبداً كانت . وقد اختفت معظم التماثيل التي صنعت من الشمع بسبب الحرائق . وقد استمر هذا التقليد حتى العصر التاخر . وإلى جانب ذلك فقد نقتت قوائم بأسماء المدن أو البلدان الأجنبية التي أمكن لمصر إخضاعها بالفعل أو على افتراض ذلك ، داخل أطر بيضاوية الشكل ربطت بها " بروفيل " لصورة أحد الأسرى . وهذه القوائم موجودة في الأجزاء السفلى من الصروح والأساطين لاستعراض صورة المهزومين أثناء تقديمهم قرباناً للآلهة ، بعد تجريدهم من كل نزعة عدوانية . كما انتشرت عادات شبيهة بالتقاليد السابقة تشبهاً لسلطة فرعون على أرجاء المعمورة ، على مرّ العصور . أن أكثر المفاهيم نزعة إلى السلام تصور دافعي الجزية من الأقطار التابعة لمصر ، أو تكتفى بذكر أسمائهم وهم يقدمون للملك أو وزيره إسهاماتهم السنوية من رجال وقطعان وحياد ومركبات ومنتجات كمالية .

وكل هذه الاحتياجات الوقائية طقسية كانت أم سياسية ، لا ينبغي أن تدفعنا إلى إغفال حقيقة إندماج الجماعات الأجنبية في المجتمع المصري في الممارسة اليومية ، قبل الألف الأول قبل الميلاد وهذا ما تؤكد العديد من الشواهد .

وإذا أخذنا بصدق موضوع أدهى ذائع الإنتشار ، فإن المصري الذي يسافر إلى خارج البلاد أو الذي يعمل في إحدى المحميات البعيدة أو

الذي يختار المنفى لأسباب سياسية فإنه في جميع الحالات يتحرق شوقاً للعودة إلى مسقط رأسه ويتطلع إلى أرض أجداده ليقضى فيها بقية عمره ، بغض النظر عما سيلقاه في بلاده .

" إنى أقيم في " كئكتاتو " . وليس لدى كافة الضروريات . ولا يوجد عمال لصنع الطوب . كما لا يوجد قش في الضواحي . لقد ضاع كل ما جلبته لاستخدامي الشخصي . رغم أنني لا أملك حماراً يمكن سرقة . وأقضى أيامي في مراقبة المصافير وصيد السمك . إنى أتطلع سنوياً إلى الطريق الصاعد \* إلى فلسطين وأرقد تحت شجرة لا تحمل ثماراً (1) صالحة للأكل . فثمارها قد اختفت رغم أنها لم تنضج . ومع شروق الشمس يملأ البعوض المكان . وعند الظهيرة التاموس . وذبابة الحبل تلدغ وتمتص ( الدم ) من العروق ( ... ) "

إن ما تذكره النصوص عن رحلة مستكشف أعزل أو تحركات جيش لا يتضمن عن خطوط سيرهما شيئاً . ويقتصر الأمر على ذكر أسماء المناطق التي وصلوا إليها أو تلك التي يعبرونها أو كانوا قد عبروها . إن وصف البلدان الأجنبية أمر نادر وشاذ ويقتصر الأمر على حصر الموارد المحلية ، على غرار ما يحدث في المعتاد عند الحديث عن مصر :

" كانت أرض طيبة أسمها " يا " . إنتاجها تين وعنب . ونبيلها أكثر من مائها . وعسلها وزيت الزيتون فيها كثير متوفر . وأشجارها تطرح الفواكه بأنواعها . وبها الشعير والحنطة والماشية بكافة أنواعها بلا حدود "

( نقلاً عن

( G. Lefebvre op. Cit . P. 11

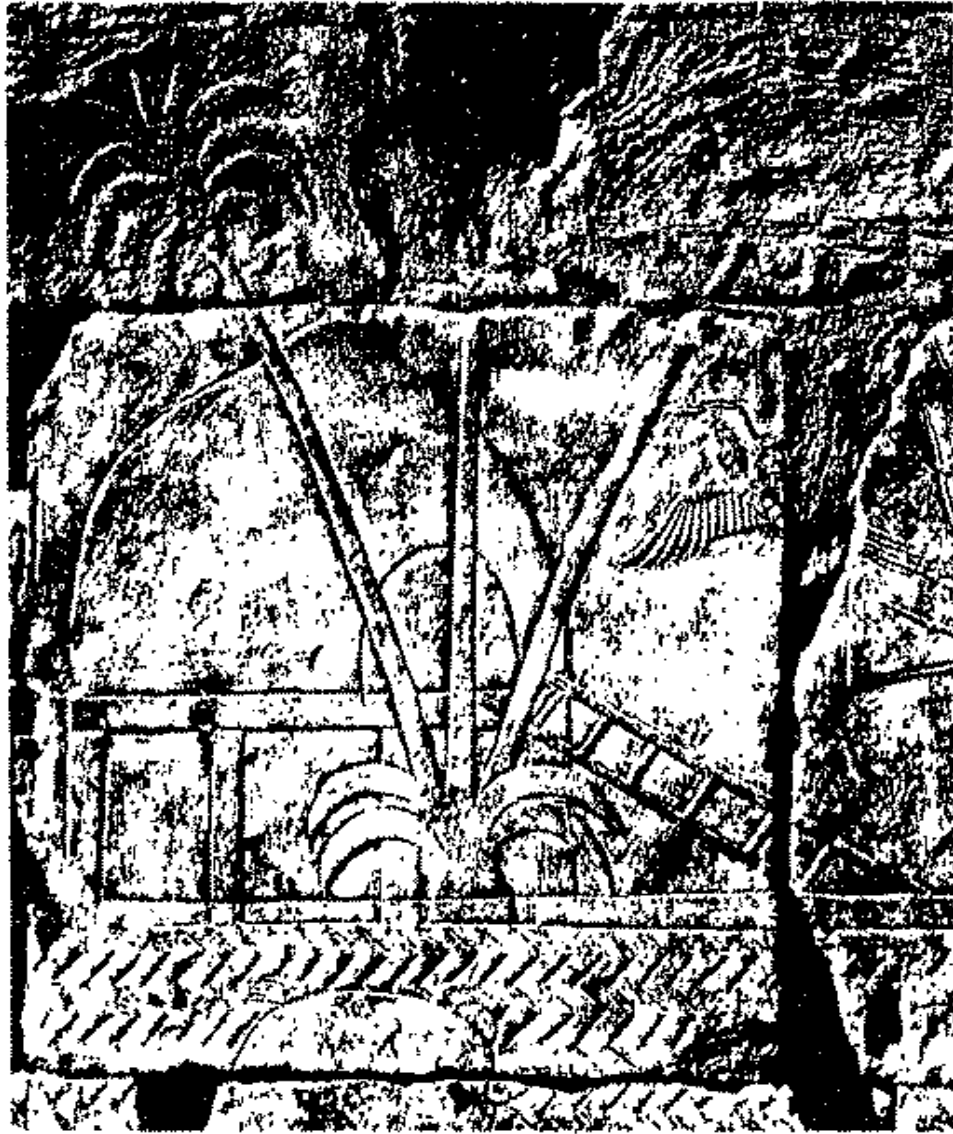
\* النزول معناه الذهاب إلى الشمال . والصعود معناه الذهاب نحو الجنوب . ( المترجم ) .

أما مشاهد المناظر الطبيعية من خلال الحملات السلمية أو العسكرية فقد اقتصت بها جدران المعابد واقتصرت عليها تقريباً . إذ تقدم جميع مساوردها قريناً للأكسهة . ولم يسبق من مشاهد بسلاة النوبة سوى الصورة التي تقدمها نقوش المعبد الجنائزى للملكة حتشبسوت فى الدير البحرى . وتحفظ النقوش بالمثل الوحيد المعروف لقرية أفرقية ترجع إلى العصور السابقة على العصر المتأخر .

وتنهض القرية قرب شاطئ مجرى مائى تسبح فيه السلاحف المائية والأسماك . والأكواخ مرفوعة فوق أوتاد . ويمكن الوصول إليها بواسطة سلم . ولعلاج غياب استخدام قواعد المنظور اختلفت أهامد المساكن ودعى عدم انتظام ترتيب شجر البخور وشجر الأبانوس . ونشاهد حيوانات متوحشة أو أليفة أو طائراً يتنقل من شجرة إلى أخرى . وبقرة ترقد بجوار أحد الحيوانات . وكلب يجوس الأكواخ .

إن المشاهد التصويرية الوحيدة التي وصلتنا ويمكن تشبيهها بهذا المنظر الفريد ليست فى نفس المستوى من حيث النظارة والحيوية . إنها مشاهد الإستيلاء على الحصون والقلاع الشبيهة بمنابر الجداريات الآشورية . ولكن تدور أحداث اقتحام هذه المواقع المحصنة وهدمها فى جو ريفى لمجرد تصوير الجنود المنتصرين وهم يقطعون الأخشاب ، ويقومون بأعمال الحصاد . فالعمليات العسكرية كانت مجرد مبرر استغله الفنان لتصوير غابات لبنان وتلال سوريا التي تكسوها الأشجار .





شكل ٩ : كوخ من بلاه بونت . مشهد من معبد خاتشيسرت ، بالدبر البحري



## الفصل الخامس

### الحياة الخاصة



إذا كانت الأعمال التي يكلف بها المصري بصفته من كبار الموظفين أو مجرد عامل غير ماهر كثيراً ما تضطره إلى مغادرة منزله ليعيش بعيداً ، إلا أنه ظل مرتبطاً ببلده وعديته . فالمصري لا يفصل إلا في القليل النادر بين الوسط العائلي والوسط الاجتماعي أو الوسط المهني . إن زملاءه في العمل هم غالباً أبوه أو ابتاؤه أو أسهاره ، إلى جانب جيرانه وأصدقائه . ويقيم عادة في منزل تابع لوظيفته في الأحياء التي يقيم فيها أقرانه . أما إذا كان من المستثمرين الزراعيين فإنه يشهد بنفسه دأره التي تروج بحركة العاملين ومن الذين يشاركونه الحياة اليومية فأصبحوا جزءاً من الأسرة أو كادوا . فقد وصلنا بأشكال مختلفة معلومات دقيقة عن الحياة الخاصة لأفراد ينتمون إلى شتى الفئات الاجتماعية . ومع ذلك فما وصلنا عن إحدى الجماعات العمالية يعد أفضل تصور تكاملت عناصره من جميع الجوانب . ووقفت الصدفة وحدها وراء هذا الحدث . سنتخذ من هذه الجماعة مرجعاً لنا أو موضوعاً لعقد المقارنات بل والمضاهاة ، حسبما تقتضيه المعطيات التي نحصل عليها من خارج إطار هذه الجماعة .

## ١ - العائلة

تشمل عائلة المصرى بمعناها الواسع الآباء والأجداد ، والأبناء والأحفاد ، والأنساء . وتشكل الإطار الأمن الحصين الذى سجله فى إباء وشمم على العمائر الجنائزية والدينية . ومع ذلك فإننا لا نعرف الإصطلاح الخاص للدلالة عليها خلاف " أهل الدار " . مهما بلغت قوة الروابط التى تجمع الإبن بوالده فمن واجب الأب أن يستحث كل من أبنائه على تأسيس بيته الخاص أى أن يشيد منزلاً أو يرمم المنزل الذى قد يتسلمه عند الإلتحاق بالعمل . ثم يتخذ لنفسه زوجة . وهكذا يجتبع المجتمع إلى قدر من تشتت العائلات لتكوين النسوة الأولى لجماعات جديدة محدودة العدد . وهى تتكون من الزوجات وأبنائهم ومن يتكفلهم من الأقارب كالأم الأرملة أو الإخوة والأخوات التى لم يلقوا سن الزواج بعد ، إلخ ... هذه الجماعات الحديثة التكوين ترحب إذن بالأفراد الذين انزلوا عن ذريتهم أو تباعدوا عنهم ، لا سيما النساء الفرادى أو المطلقات . إن رعاية الوالدين واجب أخلاقى مفروض على الأبناء . يشجعهم على ذلك ، من بين أمور عديدة ، الميراث المرتقب . وهو سلوك شبيه بما يحدث فى الوقت الراهن . فقد وصلتنا فى واقع الأمر وصية بحرمان عدد من الورثة الشرعيين من حقهم فى الميراث . وقد صارت المقبرة فى بعض العصور المكان الذى يجتمع فيه أفراد الأسرة الواحدة ، للمرة الأخيرة وإلى الأبد . هكذا اكتشف المنقبون فى مقبرة من عصر الرعامسة على نيف وعشرين مومياء مكدسة فى حجرة دفن واحدة . ولكن ندرة مواضع الدفن التى نجت من اعتداء إلى أن اهتدى إليها علماء الآثار وتم فحصها لا تسمح بالوصول إلى استنتاجات محددة . ومن جانب آخر تشير المعلومات المستمدة من عصور أخرى إلى تخصيص المقبرة للزوجين فقط . فلا يشاركما فيها أحد ، بما فى ذلك الأبناء الذين توفوا فى سن مبكرة فخصصت لهم جبانات مستقلة .

يبدو أن الزواج في مصر الفرعونية كان لا يتم إقراره بواسطة مراسم دينية أو وثيقة قانونية . إذ لم يصلنا أى عقد زواج رسمى قبل حلول العصر المتأخر . خلافاً لحالات الطلاق التى تستوجب توضيح المواقف بشأن توزيع الثروة والممتلكات بين الزوجين . فيحتفظ كل منهما بما كان يمتلكه قبل الزواج . ويتم تقسيم كل ما استجد من ثروة وممتلكات بنسبة الثلثين للرجل والثلث للمرأة . ولا يعتبر الزواج بالضرورة مناسبة لإقامة حفل عائلى . ولكن كان يحدث أن يتقدم طالب الزواج بما يشبه المهر للحصول على موافقة والد الفتاة ، تماماً كما يحدث فى مصر المعاصرة .

وكانت إقامة الزوجين فى بيت واحد هى الترجمة الواقعية للمموسة لإتمام القران . فإذا كانت الأسرة المالكة وحدها هى التى تأخذ بتعدد الزوجات ومبدأ زواج الأقارب بدافع من الحرص على شرعية انتقال السلطة الفرعونية ، فما عدا ذلك ، فإنه لم يستدل على وجود مثل هذا السلوك ، سواء بين الطبقات المسورة أو الأوساط الفقيرة . فالزنا والاعتصاب من الأمور المفروضة والتى يعاقب عليها . وفى المقابل فقد شاعت حالات الطلاق وتعددت لا سيما بين الفقراء . وكانت القاعدة تقتضى الزواج ثانية فى حالة الترميل أو الطلاق . والعزوبية اعتبرت سلوكاً غير اجتماعى . ولم يذكر اللواط إلا فى سياق الأساطير . الأمر الذى لا يساعدنا فى الحكم على موقف المجتمع المصرى من هذا الأمر . وإذا كان المجتمع لا ينادى بالاستمتاع المبالغ فيه فيما يتعلق بالأمور الجنسية إلا أنه كان يشجب أى استيحاء لا مبرر له . إن الغزل الرقيق يظفر على السطح فى " أغانسى الحب " . لقد سبق غزل " نشيد الأناشيد " \* والشعر العربى :

---

\* أحد الأسفار المقدسة عند اليهود والمسيحيين ( المترجم ) .

تقول " أغاني الحب " :  
" ( ... ) لقد وهبت لك قلبي .  
من أجلك إنى أسير على هواه ،  
عندما أرقد بين ذراعيك .  
فإنَّ رغبتى فى أن أقدم على ذلك ،  
هو الكحل الذى تكتحل به عينى ( ... ) .. "

نقلًا عن الترجمة الفرنسية

( P. Posener Krieger , O.C., P. 76)

لقد وصلتنا رسومات وقنايل وهدية وصفت بدافع الحياء إنها بردية  
" غزل " ولكنها ليست سوى مجرد بذانة ساذجة ومرحة .

ويغلب على العلاقات الزوجية كما تظهر فى فن المناظر ، سمة المودة  
والاهتمام الحانى . ولا يتخلى النحاتون والرسامون إلا فى القليل النادر  
عن قائمة الأوضاع التقليدية إلا إذا استثنينا عصرى الممارنة والرعامسة  
الذين خلفنا لنا لقطات من حياة العائلة المالكة الخاصة لها سمات تلقائية  
جعلها أقرب إلى قلوبنا ومشاعرنا . ويميل أدب القصة إلى تصوير الغيرة  
والزنا أكثر من الحنان والهوى . أما التقارير الرسمية والنصوص القانونية  
فقد أصبحت بدورها صدى للمظالم والمنازعات والمشاجرات التى تروج بها

يسوت هذا العصر . بما فى ذلك الحرم الملكى الذى كان المكان المفضل  
للدسائس والمشاحنات . وتؤكد المراسلات الحقيقية أو الخيالية على  
العلاقات المشبعة بالحب والورد والمثال على ذلك هذا الخطاب الموجه من  
أحد الكتبه إلى زوجته الوفاء :



\* أيها التايوت الميجل حيث ترقد منشدة آمون ، الأوزيريسس \*  
" أختاي " ، إنصت إليّ ، وبلغ ( هذه ) الرسالة . أنت القريب منها  
أطرح عليها هذا السؤال " كيف صحتك . وأين تقيمين ؟ " وأخبرها \*  
ياللمصيبة إذ فقدت " أختاي " الحياة ! \* هكذا يتحدث أخوك ورفيقك  
وياللمصيبة ! أنت الجميلة جداً ، أنت التي لا مثيل لجمالك ! وكان  
يستحيل على المرء أن يجد شيئاً قبيحاً فيك . إني أنادي(بك) كل  
لحظة . ردى على ( من يتادي(بك) .. ... " .

الأسرة المصرية العادية أسرة ولود . وكان يبدو أن عدد الأولاد في  
البيوت كان لا يتعدى الإثنين في المتوسط لارتفاع نسبة الوفيات بين  
الأطفال أو لأنهم يرسلون في وقت مبكر إلى المدارس أو إلى حيث  
يتدربون على حرفة . وفي حالة إنفصال الوالدين ، لا تشير وثائق  
الطلاق أبداً إلى من هو كفيل الأطفال . ويبدو أنها كانت مسؤولية الأب  
كما يستدل من جميع الحالات التي نعرفها . ولكن من المحتمل أن الوليد  
كان يظل لعدة سنوات في حضانة الأم . وليس هناك مبرر لإثارة المشاكل  
حول هذا الموضوع . كما أن المسألة لم يترتب عليها مصاعب من أي  
نوع . ومن ناحية أخرى كانت مشكلة عقم الأزواج تسبب لأصحابها  
الهموم والمشاكل على ما ابتلاههم الدهر . وإذا لم تفلح الصلوات وتقديم  
النذور للآلهة المختصة في الوصول إلى نتيجة ملموسة ، وعندما تبوء  
جهود الأطباء والسحرة بالفشل ، فلا مجال أمامهم سوى إسقاط هذه  
العاطفة على طفل المحبب الغير . ولكننا نجهد إذا كان هذا الإجراء من  
الناحية القانونية هو ضرب من ضروب الوصاية أو أنه عملية تهنئ  
حقيقية .

---

\* كان موت أوزيريس الذي تلته قيامته باعثاً على الاعتقاد بأن كل شخص يتجه يبحث  
معه .. وأصبح الملك الميت أوزيراً مثل نهاية الأسرة الخامسة . ولم يصبح الميت من  
الشعب أوزيراً إلا عند مطلع الدولة الوسطى . ( المترجم ) .

### ٣ - المنزل

سبق لنا في أكثر من مناسبة أن تحدثنا عن المباني والسماوات العامة للمساكن سواء في الحضرة أو في الريف وحيازتها كحق من حقوق الوظيفة ، كما تناولنا قيمتها المادية . وعلينا الآن أن ندرسها من خلال وظيفتها الخاصة كخلفية للحياة الخاصة . ويميل المرء إلى تصنيف المسكن إلى فئتين كبيرتين : أولاً ، الديار الفسيحة والضياح التي تؤلف حول نواة العائلة جمهوراً من العاملين . ثم البيوت المتواضعة حيث تقيم العائلة بمعناها الضيق المحدد .

في ظل جهلنا لكل ما يتعلق بالتخطيط الذي على أساسه ينهض أي مشروع زراعي متوسط أو منازل العمال غير المهرة والخدم مقارنة بمنزل رب البيت ، وطريقة تناول وجبات الطعام والعلاقات التي ربطت بين هذا الجمع من الناس ، فنحن مضطرون إزاء هذا الجهل ولتوضيح صورة مساكن الفئة الأولى أن نلجأ إلى التخطيط المعماري لمنازل مدينة سنوسرت الثانية \* الهرمية ومنازل كبار الموظفين في عاصمة أمانحوتب الرابع ( إخناتون ) ومشاهد الحياة الخاصة في مقابر الدولة الحديثة .

يغطي كل منزل من منازل اللاهون مساحة تقدر بحوالي ٢٤٠٠ متراً مربعاً وهي تتكون من قطاعات منعزلة بحيث يسهل تحديد وظيفة كل منها من أول نظرة : للمطبخ والمخازن باب خاص بالخدم . ولها باب مشترك يقود إلى دهليز يفضى بدوره إلى الفناء والباكبة الذين

---

\* من ملوك الأسرة الثانية عشرة . وهرمه المشيد في اللاهون عند مدخل الفيوم ( المترجم ) .

تطل عليه مختلف أجنحة المنزل الخاصة . وهي منفصلة بعضها عن بعض بشكل واضح مميز . وللمحظائر مدخل مستقل . وتتكون هذه الدار من ٧٠ حجرة خصص ثلثها لإقامة عامة الناس . أما بقية الحجرات فموزعة بين الأبنية الداخلية التي يبدو أنها لتسهيل الانتقال بين أجنحة المنزل وتخصص للمقابلات والاستقبالات . وهناك قاعة صغيرة ذات أعمدة أربعة ربما استخدمها رب البيت كمكتب خاص هذا إلى جانب مجموعة من الحجرات الموزعة على عدد من القطاعات .

أما منازل العمارة فهي أقل مساحة من المنازل السابقة . إذ تقدر في المتوسط بـ ١٢٠٠ م<sup>٢</sup> . ومع ذلك فالأجزاء المكونة للمنازل موزعة داخل حديقة مسورة تتراوح مساحتها بين ٢٠٠٠ م<sup>٢</sup> و ٤٠٠٠ م<sup>٢</sup> . ونلاحظ أن العناصر المعمارية التي ترمز إلى الحظوة والنفوذ متوفرة في الدار : من بوابات شامخة إلى درج فخم ومدخل مسقوف وقاعات استقبال . هذا إلى جانب وسائل الراحة الأخرى مثل الحمامات التي تظهر هنا لأول مرة . وكان المبنى المنخفض لإقامة أهل الدار ينقسم إلى قطاعات مستقلة غير معزولة تماماً عن بعضها . ولكن المبنى كله معزول عن الأقسام المختصة بالخدمات المنزلية كالطبخ والمخازن والمحظائر الملاصقة لسور المنزل الخلفي .

أما مخازن الغلال فعلى العكس نجدتها مكشوفة أمام أعين الزوار . أما الهيكل فهو محاط بحديقة صغيرة وله مدخل خاص فخم إلى جانب مدخل آخر بعيد عن الأنظار . وتوضح بعض الصور مناظر الولايم المقامة على أنغام اللرق المرسيقية والتي يحضرها أفراد الأسرة . أو مناظر أكثر خصوصية تمثل تزيين السيدات وقد استسلمن لوضيفاتهن .

ويفضل البقايا الأثرية والإثنوجرافية والمدونات التبقية من قرية دير المدينة ازدادت معارفنا حول تنظيم مساكن العمال والحياة داخلها .

يغطي المسكن الواحد مساحة تتراوح بين ٤٠ و ١٢٠ متراً مربعاً .  
ويتكون من المعتاد من سلسلة متعاقبة من الحجرات ذات أبعاد مختلفة .  
وتتكون جميعها من طابق أرضى . وتقع الحجرة الأولى عند مستوى  
أدنى من الطريق . والمدخل هو مصدر الإضاءة الوحيد . والحجرة مكرسة  
لعبادة الأجداد وعبادة الآلهة المنزلية حماة الخصوبة والولادة ، وبها مذبح  
فوقه نصب حجريه وقمائل نصفية للآلهة المنزلية أما الحجرة الثانية فهي  
مستوى الطريق نفسه . وهي أكبر من الأولى وسقفها أكثر ارتفاعاً  
ويدخلها النور من خلال نوافذ محمية بشبكة وموزعة في أعلى  
الجدران . وسقفها مرفوع بواسطة أسطون مركزي . وبها مقعد . وغالباً  
ما تزين الأبواب الوهمية جدران الحجرة . وقد صور عليها أمنحوتب الأول  
رأى القرية وحاميتها وأمه أحسن نفرتارى ومختلف الآلهة . إنها حجرة  
المعيشة . فيها يستقبل أصحاب البيت ضيوفهم ويتناولون الطعام وفيها  
كانوا بالتاكيد يقضون لياليهم وينامون . تماماً كما هو الحال في بيوت  
الفلاحين في الوقت الراهن . وتشغل حجرة أو حجرتان صغيرتان المكان  
الذى ترك شاغراً بسبب وجود السلم الصاعد إلى سطح المنزل وإلى المر  
المرصع إلى المطبخ وملحقاته من قهو ومخزن غلال . والمطبخ مجهز بفرن  
لإعداد الخبز وبالأجران والمعاجن . وقد حضرت النساء القائمات على  
خدمة أهل القرية للمعاونة في طعن الحبوب . أما خزانات المياه فموجودة  
في الهواء الطلق . وإلى جانب ما يوجد في كل حجرة من تجهيزات  
خاصة بها تتوزع على الجدران أكثر من كرة ، وتحتوى الحجرة على أثاث  
متواضع مصنوع من الخشب أو الحجر بها مقاعد وكراسي ومساند للرأس  
وأسرة وصناديق وحصر وسلال وأدوات من السيراميك وبعض  
المنسوجات . وأغلب الظن أن نساء القرية وأطفالهن الصغار كانوا يقضون  
معظم نهارهم في هذا المكان المسور ولكن النسوة كن يتزاوون ويناقشن  
بحرارة آخر أخبار أهل الشاطيء .

### ٣ - الجيران

كان المصري يحافظ بالطبع على علاقات الجوار والصدقة مع أشخاص لا ينتمون إلى أسرته أو أفراد بيته . وقد ثبت ذلك دون لبس من الشواهد النادرة التي وصلت إلينا . غير أن المصري لا يسترسل كثيراً حول حياته الاجتماعية التي تمت وتطورت في الأغلب من خلال عالمه المهني ، ومع ذلك فقد دفعت بعض المناسبات إلى الخروج من عالمه المألوف ؛ كالأعياد الدينية الكبرى والمظاهر الرسمية للملكية التي تلتقي فيها أحياناً نوعيات مختلفة من البشر . كما التقي المصري أثناء الحروب والأسفار بعادات وعقليات ، أثارت أحياناً حيرته ودهشته . ولكنه عرف كيف يحاور ويقيم علاقات ودية إذا اقتضت الظروف ذلك . أما الأسواق فكانت الإطار الذي يجتمع فيها تجار من أصول مختلفة بالسكان المحليين ولكننا لا نعلم إن كانت هذه الاتصالات أفضت إلى علاقات منتظمة و طبيعية أم ظلت طائفية على السطح دون تأثير جوهري . وقد زاول المصري بعض الأنشطة القليلة خارج مجاله المهني كالمبارزات الرياضية والصيد البري والصيد البحري وممارسة المسئوليات الإدارية المحلية والممارسات الدينية وإقامة الولائم ولكن كلها دارت في إطار القرية أو الحى الضيق أو المنطقة على أكثر تقدير .

ولا تذكر مصادرنا سوى القليل النادر عن هذه المواضع . إذ أن تصويرها لا يأتي إلا عرضاً . وإن حدث فإنه لا يحتوى إلا على إشارات هزيلة حول خلفية كل حدث وهوية كل شخص والمعنى الحقيقي للمواقف الشاخصة أمامنا . كما أن الشهادات التي توفرها لنا المراسلات يعيبها ما يعيب المراسلات بشكل عام من حيث أنها تحمل إشارات غامضة ومبهمة عن مواضع لا يعرفها سوى أصحابها ، الأمر الذي يحد من قيمتها كوثيقة . وإضافة إلى ذلك فإن المصري يخلط في مراسلاته بين المسائل

الشخصية والمهنية . إذ يفترض أن من يراسله ، سواء كانت زوجته أو كان قريباً أو صديقاً أهلاً لشقته . عليه أن يحل هذه المشاكل وتلك . إذ يبدو أن الحياة الخاصة عند المصرى القديم كانت تنتمى إلى الحياة العامة أكثر مما درجنا عليه فى أيامنا هذه . وربما كان اختيار الأشخاص الذين يقرر المصرى فى نهاية المطاف تصويرهم على جدران العماير هو خير تعبير عن نوع العلاقات التى كان يميل إليها أكثر من غيرها . فقد وقع اختيار بعضهم على رؤسائهم ، وآخرون على الأصدقاء ، وفضل فريق ثالث الخدم الأوفياء . وقد جاء هذا الاختيار مقترناً بسمايتهم الشخصية وعلاقاتهم الفعلية مع كل منهم . ولكن هنا أيضاً يظل هامش الإضافة الحقيقية ضيقاً جداً ويعبر فى كثير من الأحوال عما هو اصطلاحى وتقليدى .

ومرة أخرى نصل إلى ضرورة حصر دراستنا فى مجتمع دير المدينة . ومن نافلة القول أن هذا الاستقصاء لا ينسحب على غيره من الأوساط الاجتماعية . وإذا استبعدنا عمل أهل القرية ، بمعنى الكلمة ، وعلاقاتهم بالسلطات المحلية التى دأبت على تكليفهم بأعمال جديدة ، فقد أبقى عمال القرية أنفسهم لتحقيق متطلبات حياتهم الجماعية مع درابتهم بواقع الأمور فى البلاد وانعكاساته على أحوالهم المباشية . صحيح أن مهمة الرؤساء هى السهر على التوزيع العادل لحصص الغذاء وحسن سير الخدمات العامة ( كتزويد أهل القرية بالماء والتقسيم السليم لساعات عمل العبيد فى كل بيت إلخ . . ) وضمان الاستقرار فى موقع العمل أو فى القرية ، معتمدين على الأساليب الوقائية بمساعدة الحارس والبوابين وشرطة الجبانة ، فيلجأون إذا اقتضى الأمر إلى المحكمة المحلية . ولكن يقع على عاتق الجميع ، بما فى ذلك النساء ، التنفيذ اليومي لكل هذه الأعمال . فيتناوب البعض على استلام المواد الغذائية ، ويتم نقلها على حمير قام البعض بإعارتها أو تأجيرها . ويبلغ آخرون عن المخالفات

القانونية التي ضبطها عملاً بالقسم الذي أقسموه عند انخراطهم في فريق العمل ، أو ينضمون إلى جماعة المحلفين إذا اقتضى الأمر . ولا تستقيم الأمور دائماً لإدارة القرية . ولا تظهر دائماً فاعلية محاولاتها غير المتوازنة في الحفاظ على الانضباط الضروري ، مع وجود المقابر الملكية بما تحتوية وما يترتب على ذلك من إغراءات . فكثيراً ما تشور القلاقل وتهتز هذه الجماعة الصغيرة ، إذا حاولت إحدى الشخصيات الأقوى من غيرها التعبير عن رأيها . وعلاوة على ذلك يجتمع أهل القرية يرمياً في العديد من المناسبات : كالأعياد المحلية والعبادات الجماعية بالإضافة إلى مناسبة إصدار ترخيص باستخدام الجبانة ومواصلة البحث عن مدخل المقبرة القديمة أو أعمال تشييد المقبرة الجديدة ، حيث يتوافد العديد من الزملاء فيجتمعوا للمساعدة والمعونة .

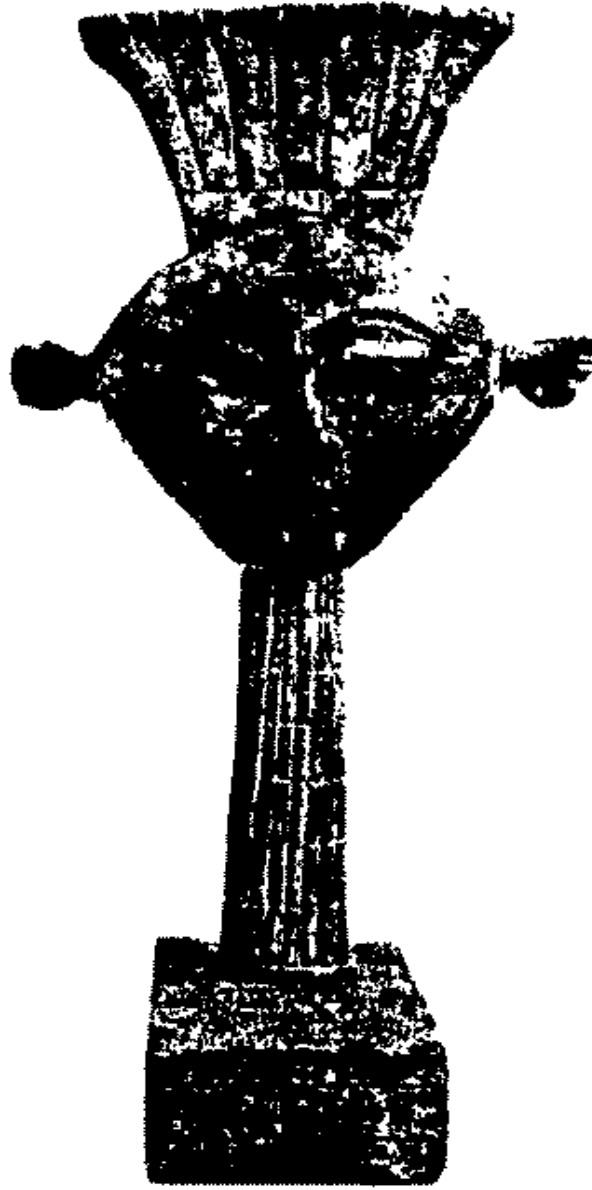
ورغم أن العلاقات التي تربط القرويين هي جوهر صلاتهم الاجتماعية إلا أن هؤلاء الناس برجالهم ونسائهم لم يتفلقوا على أنفسهم . لقد اعتادوا تبادل الزيارات مع أفراد أسرهم المنتشرين في المنطقة بمناسبة مولود جديد أو جنازة أحد الأقارب . كما يتوجهون إلى القرى أو المعابد المجاورة أو إلى السوق القائمة عند شاطئ النهر . ويتقلون إلى البر الآخر لإنجاز بعض الأعمال كما تشهد على ذلك العقود التي تفتق هذه المعاملات وبعض الخطابات التي تحدد مواعيد إنجاز الأعمال المطلوبة أو التعليقات الخاصة بالتنفيذ أو الملاحظات حول عيوب ما تم تسليمه . إن بعض رجال القرية ، لا سيما الرؤساء منهم ، يحملون أحياناً القاباً دينية شرفية ، هم وزوجاتهم . ويرتبطون بعبادات أحد معابد المنطقة ، ويشاركون على ما يبدو في إقامة الشعائر ، كمنشدين مثلاً ، وأثناء الاحتفالات الخاصة ، أو أعياد الإله ، على وجه التحديد .

## ٤ - الممارسات الدينية

تحتل أعمال الورع والتقوى مكانة عالية في حياة المصري اليومية سواء كان ملكاً أم من رجال البلاط أو من عامة الشعب ، فالمصري يعيش في بلد غنى بألهته . ولكنه وقبل كل شيء كان يميز آلهة مدينته عن غيرهم ، فيجلهم بأساليب مختلفة حسب وضعه الاجتماعي ، فيتولى فرعون بناء المعابد في طول البلاد وعرضها ويجهزها بكل غال ونفيس . ويشيد الأعيان هيكلاً صغيراً أو ناروساً يوضع فيه الإله ، أو نصباً حجرياً أو مجرد تمثال . أما عامة الناس فيفعلون نفس الشيء ولكن بالمشاركة الجماعية . ويستطيع المصري أن يشغل أيضاً منصباً كهنوتياً في أحد المعابد القريبة منه حيث تتم الفرائض الدينية بانتظام . وإذا اضطرت الظروف للإقامة بعيداً عن مدينته ، يتوق شوقاً إلى آلهته ويضيه بعده عنهم . ولكنه يتظلل بحماية آلهه محل إقامته . بل وقد ينح مناصب شرفيه في خدمتهم . وكانت المراسلات خير صدق لهذه الممارسات . كما أشارت إليها المخريشات . فلا يتطرق كاتبها إلى صلب موضوع الرسالة دون أن يطلب مراسله حماية ورعاية آلهة المدينة التي يعيش في كنفها . ونكتشف بالتالي جهة إصدار الوثيقة .

تعتبر كبرى أعياد التقويم المصري أعياد عامة يشمل الاحتفال بها الجميع وتمنع فيها العطلات الرسمية . أما الأعياد الخاصة بالمناطق مثل تزاود آلهة إحدى الجهات لآلهة جهة أخرى مجاورة فهي أعياد محددة يحتفل بها في نطاق المنطقة فقط . ويتم الاحتفال بإبحار موكب الإلهة أولاً بالمراكب ثم ينتقل موكبها من معبد إلى آخر . ويخرج المصريون وقد تزينوا بأحلى ما عندهم ليشاركوا في هذه الأعياد أو يشاهدونها . والأعياد العامة موزعة على مدار السنة على أساس عدة أعياد لكل دورة من دورات القمر . وهذه الأعياد متنوعة منها عيد من أعطى اسمه





شكل ١٠ : شارة الإلهة \* عنقت \* من دير المدينة . \* متحف اللوفر \*

لكل شهر من شهور السنة . وغالباً ما يرتبط بفصول السنة : كحلول  
الفيضان والحصاد إلخ .. ومن الأعياد ما يكرم الروابط التي تجمع بين  
الآلهة . أو لها الطابع الجنائزي أو إحياء ذكرى أحد فصول قصة حياة  
أوزيريس . وأعياد أخرى تخليداً لذكسى أكثر الملوك  
المثوقين شعبية وذلك فى ذكرى اعتلائهم العرش أو وفاتهم . ولا يجمع  
هذه الممارسات الدينية الجماعية نسقاً واحداً . فمن الأعياد ما تنتقل فيها  
الجماهير من مكان لآخر . وأخرى تقام لها الاحتفالات فى عواصم  
الأقاليم أو فى أصغر النجوع على حد سواء . ومن هذه الممارسات ما  
يفتح المجال لبعض الطقوس الدينية أو سكب الخمر إكراماً للآلهة أو تقديم  
الأضاحى والقرابين . أو اجتماع الاصدقاء حول مرائد المحبة .

ومن ناحية أخرى ، يعيش أفراد الشعب فى الإطار المحدود لقربتهم  
أو منطقتهم . ويكثرون من الصور المقدسة . ويجعلون من كل واحدة  
ركيزة نوعية لمعتقد متفرد وأضافوا الحيوانات المقدسة والألوية والرموز  
التي تمثل هذه الآلهة . كما يخلعون على عناصر البيئة الطبيعية قوة  
خارقة . مثال ذلك قمة مرتفعات طيبة . فهى تارة ثعبان وتارة أخرى  
لبؤة ، وهى أيضاً محبة للصمت . ويرحب المصرى بحساس بالطقوس  
الدينية الوائدة إليه من أرجاء مصر ومن الأقطار الأجنبية والتي ينقلها  
إليه الأسرى الأجانب والعمال الحرفيون عند انتقالهم من موقع إلى آخر .

وهذا المجمع للآلهة الشعبية تدور من حوله ممارسات دينية بسيطة . مثال  
ذلك " لرحات الأذن " \* التي تهدف إلى ضمان نقل تضرعات مقدمى  
هذه النذور إلى الآلهة . ويتشكل جمع صغير من الكهنة حول هذه الصور  
المقدسة وما يتولد منها من رموز . كما تنهض المباني المقدسة لخدمتها .

---

\* لرحات متميزة لأن مظهرها مثل أذنأ آدمية أو أكثر وتعبير عن استجابة الإله للدعاء  
( المراجع ) .

وتقدم لها القرابين بانتظام . وتسمن المواشى للتضحية بها . وتصنع الجمعة  
الغازجة خصيصاً لها . ويجتمع نفر من المؤمنين حول هذه الصور المقدسة  
احتفاءً بعيدها . وتسير مواكب أكثر الصور تقديساً وتبجيلاً وتكشف  
عن الغيب بما لها من قدرات . كما تقام على مقربة من أسوار المعابد  
الكبرى ، الظواهر الثانوية للديانة المصرية وقد تشعبت كثيراً بالسحر :  
من مكاشفة الغيب وتفسير الأحلام وأعمال التنجيم وبيع التعاويذ  
والرقى . وكلها منتجات ثانوية شاعت وانتشرت في هذه الأوساط  
المقدسة . ولكن الديانة المصرية لا تنحصر بمختلف أشكالها ومظاهرها في  
المعابد والهيكل . فيضم كل منزل رسومات ونصب حجرية وقلائد صغيرة  
تجلب على أهل الدار نِعَم الآلهة العظمى والآلهة الصغرى والمتوفين . إن  
ممارسة أعمال البرع على مستوى الفرد ومستوى الأسرة من الأمور  
الشائعة . ومن أبسط مظاهرها بالطبع ما اختص به المصريون موتاهم من  
طقوس . وقد انتشر اعتباراً من الدولة الوسطى رحلات الحج إلى  
أبيدوس إلى جوار أوزيريس أمير أهل الغرب - أي الموتى .

## ٥ - شغل أوقات الفراغ

لقد أصاب الملك الملل . فقرر أبناؤه الترويح عنه . فأخذوا يقصون كل بدوره على مسامعه ما حدث من مآثر منذ القدم في زمن الأجداد . وتلك هي الفكرة التي ابتدعها مؤلف قصص " بردية وستكار " للربط بين مختلف قصصها وتقديمها للقارىء . وتجسد إحدى هذه القصص شخصية الملك سنfro مؤسس الأسرة الثالثة \* بعد أن هامت كل محاولات الترفيه عنه بالنشل . أما ساحره فلم تعوزه الخيل :  
" فليذهب جلالتك إلى بحيرة القصر - له الحياة والرفاهية والصحة .  
وجهاز قارباً ترافلك فيه جميع جميلات القصر . وسوف ينشرح قلبك إذ تشاهدمن يجندن صعدوا ونزولاً ( .. ) "  
ورأت الفكرة للملك .

\* وأكد الملك أنه ينوى القيام بنزهة على سطح الماء . أحضروا لى على النور عشرين مجدالاً من الأبنوس المطعم بالذهب ذات مقابض من خشب الصندل المكسو بالذهب ، وأحضروا عشرين امرأة أجسادهن ونهودهن جميلة ومجدنولات الشعر ولم يلدن . أحضروا لى أيضاً عشرين ثوباً من الشباك تسلم للنساء لليسها بعد أن يغيرن من ملبسهن \*  
( نقلاً عن الترجمة الفرنسية )

( G. Lefebvre op. Cit . P.78 )

---

\* كتبت هكذا لى الأصل الفرنسى . ولكن من المعروف ومن المتفق عليه أن سنfro هو مؤسس الأسرة الرابعة وبانى أول هرم كامل ( دهشور ) لى تاريخ العمارة المصرية ووالد الملك خوفو بانى الهرم الأكبر . وقد عهد سنfro لى سيناء وأصبح أحد الآلهة الهامة لهذه المنطقة الهامة من أرض مصر ( المترجم ) .

أما ملوك الدولة الحديثة فقد اشتهروا بممارسة فنون الصيد فى صحارى مصر وفى النوبة أيضاً . حيث يطاردون الأسود وأبو حراب والنيتل ويشخوهم ضرباً بالسهام . إن الصيد البرى والصيد البحرى رياضتان وتعبيران رمزيان عن انتصار فرعون ورعيته على قوى الشر . كما يمارس الصيد أيضاً فى بحيرات الفيوم والدلتا لصيد فرس النهر والتماشيع بالحرايب . أما الصيد فى المسطحات المائية فيستخدمون الشباك لصيد الأسماك أو العصا المرتدة \* لصيد الطيور المائية أثناء طيرانها . كما كان لرياضة المصارعة هواتها . فاعتاد المصريون إقامة مباريات المصارعة والألعاب التى تعتمد على مهارات أصحابها . واعتبرت مآثر منحوتب الثانى فى رمى السهام بجديرة بأن تسجل على نصب حجرى أقيم خصيصاً لتخليد هذه المناسبة .

أما الرقص أو الموسيقى والغناء فتغلب عليها المسحة الدينية حتى إذا كانت تتم لأغراض دينوية محض . ومع ذلك فيبدو أن جو الولائم الراقية التى كانت محببة إلى قلوب المصريين ما كان ليكتمل بدون الجوقات الموسيقية . والشاهد على ذلك نقوش ورسومات المقابر . كما أن فريقاً متواضعاً من عازفى الآلات الموسيقية كان يرافق رقات العمال الذين عاشوا فى عصر الأسرة الثامنة عشرة . أما المسرح فقد كان قاصراً على ما يبدو على الدراما الأسطورية ولم يخرج من حرم المعابد المقدسة . كما حدث بالنسبة للفنون الأدبية الأخرى كالقصة والملاحم الأسطورية والقصص الأخلاقية والحكم والشعر التى كانت تقرأ أو تتلى أمام الجماهير . وعرفت ألعاب التسلية منذ أقدم العصور ، وقد وضع بعضها فى حجرة الدفن بجسوار المتوفى للترويح عنه وتسليته . أما

---

\* وسيت مرتدة لأنها ترمد إلى قرب مُطلقها إذا لم تصب الهدف ومازال الأستراليون الأصليون يستعملون نفس هذه الوسيلة فى صيد الطيور الآن . ( المراجع ) .

لعبة الشعيان فهي شبيهة بلعبة الأوزة . أما لعبة " السنت " فهي قريبة الشبه بلعبة " الطاولة " . ويوجد " السنت " مصوراً في الرسومات التوضيحية " لكتاب الموتى " كما وجدت أيضاً أنواع من التسلية التي تعتمد أكثر على الذهن وتقضى باختراع كلمات متقاطعة أدبية . صحيح أن الألعاب والتشيل والأنشطة البدنية والفنية والثقافية ، كانت مناسبات طيبة لإبراز إمكانيات كل من الجسد والفكر ، ولكنها حققت للمصري أيضاً ممارسة أحب هواياته إلى قلبه لشغل وقت الفراغ . إنها هواية المناقشات الصاخبة التي لا تنتهي . ويبدو ذلك واضحاً من النصوص التي ترجع إلى جميع العصور وكافة الأوساط .

## الفصل السادس

---

**الحياة اليومية : ظروفها وسمياتها .**

---





## ١ - التغذية

تشمل التغذية مكانة بارزة في حياة المصريين كما هو واضح من وظيفة فرعون في توفير الغذاء . " فكلماته هي التي تخلق الطعام " . وفي المقابل ، فإن المذن التي تتحدد عند وصول الملك وجيشه إلى مكان ما تأتي رداً على نعماته اليومية . إن قائمة المواد الغذائية التي يتم إعدادها في هذه المناسبة ليست بأقل من تلك التي كانت تقدم على شرف ملك فرنسا عند عودته من حملاته العسكرية .

ويتم استدعاء صنّاع السلّ لإعداد عشر صوانٍ وخمسمائة سلة ومائة تاج لتزدان بالزهور . ويجرى تجهيز ما لا يقل عن ثلاثين ألف رغيفاً من الخبز وقطعة حلوى من مختلف الأنواع . ويلي ذلك ثلاثمائة سلة مملوءة باللحم المجففة وبالذبائح . بالإضافة إلى اللبن والزبد وخمسين أوزة وفاكهة وخضروات وفحم خشب لإشعال النار . وعلى مقربة من المكان يطلب البعض إحضار مزيد من العسل والخيار والخروب والفلفل . وأهم من كل ذلك مزيد من الخبز والجمعة واللحم والحلوى . وتتواصل قائمة الغذاء فتذكر الزيوت واللحم البقري والطيور وشتى أنواع الأسماك والحمام واللبن والزبد ومزيد من الخضروات . ونوع خاص من الجمعة والنبيط إلخ ... وتراعى الدقة الفائقة في إعداد المائدة وتقديم الأطعمة . فأواني المائدة من الذهب والفضة . ويقوم بتقديم الطعام أجمل العبيد وقد ارتقوا أزهى الحلل لهذه المناسبة إلخ ... إنه شيء أشبه ما يكون بالولاتم الرومانية التي ترمز إلى عصور الإنحطاط . ولكننا هنا نجهد الظروف

التي أحاطت بهذا الاستقبال ووضعية المضيف الذي يتولى إعداد هذه الوليمة .

كان الطعام يختلف أنواعه متوفراً في مصر . أما استيراد الطعام من الخارج فتوفّر . ولكنه توفّر عمّ معظم الفئات الاجتماعية بدرجات متفاوتة . إذ وجد المنقبون حتى في قرى عمال فرعون بطاقات جرار التبيد وأتية الزيت المستوردة من الخارج . وربما لا ينطوي الأمر على أكثر من هدايا قدمها فرعون وخاصته بمناسبة أعياد البوبيل التي يحتفل بها . إن أساس التغذية هو الخبز المصنوع من الحنطة والجمعة المصنوعة من الشعير . إن التمييز بين الخبز والحلوى غير واضح تماماً . وأنواعه كثيرة ومتعددة تصل إلى العشرات ويتم تحليته بإضافة اللبن أو البلح أو العسل . كما توجد عدة أنواع من الجمعة والمشروبات الأخرى المنخمة المصنوعة من البلح مثل شراب " السيرمت " . أما النبيذ وهو من المواضيع المفضلة والمحبة لدى الرسامين والنحاتين إلا أنه يظل من المشروبات التي تقدم في الأعياد فقط . وصحيح أن اللحوم لم تقدم على المائدة كل يوم إلا أن المصريين يستهلكون منها كميات وفيرة كما أثبتته أحدث الدراسات . ولم ينحصر استهلاكهم في اللحوم البقرية وفيما يصطادونه من حيوانات وفي الطيور والتي تزخر بها موائد الآلهة في المعابد وموائد الناس . ولكنهم كانوا يأكلون أيضاً لحم الماعز والغراف والخنزير المنتشرة في القرى والأرخص سعراً . أما الأسماك التي كان يعج بها النيل والبحر المتوسط والبحر الأحمر فقد اعتمد عليها في طعامه أكثر من اللحوم . وإذا لم يستهلك اللحوم أو الأسماك طازجة فإنه يجففها أو يحفظها . كانت الحُرُمات من سمات كل إله في منطقته . فأصبحت بعض الحيوانات محل رعاية وحماية أهل المنطقة ، أو صارت منبوذة . كان المصريون يزرعون أنواعاً متعددة من الخضروات والنباتات العطرية ومختلف الفواكه . وقد تعرفنا عليها من خلال صورها أو بقاياها التي

عشر عليها فى المقابر والمساكن . ورغم وجود اللبن ومنتجاته إلا أن استهلاكه لم يكن شائعاً . أما الشحوم الحيوانية والنباتية فقد كان استهلاكها عادياً .

وهكذا فإننا نعرف جميع هذه المواد الغذائية بالإسم وبالصورة ومن خلال الآثار المتبقية التى حفظها جفاف الجو الفريد حتى أيامنا هذه . ولكن تظل أساليب الطهى التى أخذ بها المصريون فى إعداد طعامهم سراً مغلقة . حتى أنه يصعب علينا القول أنهم قد عرفوا حقاً فن الطهى . اللهم إلا بعض الأساليب البدائية . وفى واقع الحال نشاهد أحياناً على جدران المقابر سواء الطيور أو قطعة من اللحم البقرى أو إنضاج الطعام فى صلصة متبلية . وقد برزت منه قطعاً عظم أو ثلاث . ولا شئ أكثر من ذلك . فلا وجود للحم المفروم أو الخضار على شكل شرائح أو مكعبات أو حلقات . ولم تصلنا وصفة واحدة للطهى أو صنع الحلويات أو إعداد الصلصة . إن النصوص التى تكيل المديح للولاتم وتعلق على ما بها من أطعمة يقتصر حديثها حول المراسم المنظمة لها أو ترتيب المواد الغذائية . ولا نتحدث بكلمة عن مهارات رب البيت أو ربة البيت . ربما لأن تعليم فن الطهى يتم بالتواتر الشفهى . ونظراً نحن المعاصرون محبو الطعام الطيب على جهلنا لأسرار فن الطهى المصرى .

ويبدو أن الولاتم حتى فى إطارها العائلى تعتبر لحظات متميزة فى حياة المصريين . لقد أحاطوها بحمل اهتمامهم وعنايتهم ، بما يعدون لها من زهور ومخاريط عطرية وجوقات الموسيقى . إن كل ذلك يذكرنا بهاقات الزهور والشموع والجو الموسيقى فى عصرنا الحالى .

إن منظر المضيفين وضيوفهم المجتمعين فى جو من السعادة حول مائدة كبيرة أو جالسين حول صرانٍ كبيرة ، لهو منظر أبعد ما يكون عن

الواقع والحقيقة ، بل إننا نشاهدهم في مختلف التصاوير جالسين جنباً إلى جنب فوق كراسي أو مقاعد على مقربة من مرائد صغيرة محملة بما لذ وطاب ويسهر على راحتهم عدد كبير من الخدم . وتصيح الموسيقى وترتفع أصوات المغنيين لتشيع جواً من المرح بين الحاضرين . وخلافاً لحيوية الموسيقيين والمغنين ووقتهم ، يستنشق المدعوون زهرة اللوتس التي تلامس أنوفهم ويحافظون على توازن مخروط الشحم المعطر فوق شمرهم المستعار ، وهو يذوب في بطنه . فانشغلوا بذلك عن تناول الطعام أو تبادل أطراف الحديث مع الجالسين بجوارهم . إن الخطأ خطؤنا ؛ فإننا نشاهد هنا طقساً دينياً ذا صبغة جنازية ؛ إنها مأدبة طعام يقيمها بعض المقربين إلى المتوفى وزوجته تكريماً له . فهل نطالب مثل هذه المشاهد أن تعيد إلينا جو المآدب الدنيوية ؟ لقد انخدعنا وخذعتنا كثرة الأطعمة ورقة الخاديات وسحر الموسيقى . كنا نتوقع أن نتم بصحبة بهجة . ولكننا فوجئنا باحتفال جنازي .

## ٢ - الصحة

كان المصري إذا جامل الآخرين تمنى لهم ثلاث أمانى . وكانت الصحة ثالثهم بعد الحياة وبعد بهاء الطلعة التى ميزها عن غياب المرض . إن المعلومات التى وصلتنا عن نظامه الغذائى تنحاز إلى جانب توازن ما يتناوله من طعام : كالحبوب والخضروات الطازجة أو الفريجات والفواكة إلى جانب اللحوم ومنتجات الألبان فى بعض الظروف . لقد سجلت بعض حالات نقص التغذية فى واقع الحال . إلا أنها لا ترجع إلى خلل غذائى واسع الانتشار . حقاً إن مصر قد عانت عبر تاريخها الطويل أكثر من مرة من مجاعات نتجت عن تدنى مستوى الفيضان أو ارتفاعه أكثر من اللازم ولمرات متكررة . ومع استبعاد هذه الحالات ، فلا يوجد ما يجعلنا نفترض أن الفقراء قد تضوروا جوعاً فى الظروف العادية . أما البدانة التى تتسم بها تصاوير طبقة الموظفين الذين وصلوا إلى أعلى مراتب سلم الترقى الوظيفى فإنها دليل ووفرة الغذاء مع قلة الحركة . لهذا السبب لم تحاصر البدانة جسم فرعون ، فمآثره الرياضية خير ضامن لقوته البدنية

كركيزة أساسية لسلطته وسلطانه . لقد قام علماء الأجناس البشرية وعلماء أمراض العصور القديمة بفحص ما توفر لهم من أجساد القدماء . فلاحظوا وجود بعض الأمراض الناتجة عن وجود الطفيليات وبعض العيوب الخلقية والكسور والعمليات الجراحية الناجمة فى بعض الأحيان إلخ . . ويشكل كل ذلك تصوراً عن الحالة الصحية السائدة والحوادث والعلاج المقترح .

واعتباراً من الأسرة الثامنة عشرة نجد فى المساكن بعض التجهيزات الصحية على درجة بسيطة من التقدم . فنجد مثلاً فى دار رئيس الإنشاءات الذى شيد معبد تحوتمس الرابع الجنازى فى طيبة حاملاً مرتفعاً مجهزاً بأنبوب ينفرج فى جزئه الأسفل ، وبعض الطشوت المصنوعة من

السيراميك مرتبة في حجرة مخصصة للوضوء . أو نجد مقعداً مثقوباً ضمن أثاث رئيس الفرقة " خع " في دير المدينة . أو حمامات حقيقية مجهزة بنظام صرف كما في تل العمارنة . ومع ذلك نجد منذ الدولة القديمة شبكة من توصيلات المياه على درجة عالية من الكفاءة داخل المعابد كما نجد نظاماً للصرف الصحي في قلعة بوهين عند الشلال الثانى والتي ترجع إلى الدولة الوسطى . ومن المرجح أن قصور الدولة القديمة والدولة الوسطى قد عرفت مثل هذه التجهيزات ، رغم أنه لم يكتشف على أى أثر لها فى أطلال مدينة اللاهون . أما القسطنطينية كما تم تصويره على جدران المقابر ، فيتم قرب الماء فى طشوت خشبية كبيرة أو من الطين المحروق . وتشهد المكائس البالية التى اكتشفت فى المساكن حتى المتواضعة منها ، على حماس المشرفات على المنازل والحمامات . كما أن طبقات الجير المتكررة التى يمكن حصرها على جدران المنازل تشهد على الاهتمام بصيانة المكان وتحسين الظروف الصحية . وقد أصاب المصريين المرض رغم الرعاية الصحية واستخدام المواد المطهرة كالتطهير للبشرة والجالينا \* للعيون .

وعندئذ يلجأون إلى الطبيب ، كاهن الإلهة " سخمت " أو مروض الشعابين أى الساحر . وفى أغلب الأحيان يتلازم الأسلوبان ضماناً للشفاء . ويفضل عشرات البرديات الطبية التى خلفها الزمن تعرف الكثير عن الطب المصرى بفضل ما تحويه من أبحاث . منها بحث عن القلب وأوعيته ، وبحث عن أمراض المعدة . وبحث فى الظواهر المرضية

---

\* الجالينا ، هو كبريتيد الرصاص . وقد استخدم كحلاً منذ أقدم العصور إلى العهد القبطى . ويستخرج من خامه بعملية صهر بسيطة ويوجد بكثرة بجبل الرصاص على بعد ٧٠ كيلو متراً من الأقصر ( المترجم ) .

الخارجية وفي جراحة العظام إلخ ... ومجموعات من الصفات العلاجية مصنفة حسب موضوعها كالعيون والأذن إلخ ... وإذا تبدوا لنا هذه الأساليب متناقضة إلا أن الأطباء الممارسين والمرضى أنفسهم لم يروا أى تعارض بينها ، بل اعتبروها متكاملة . ورغم ما اقتضته تقاليد التحنيط من جراحات ، إلا أن المصريين على ما يبدو لم يكونوا على دراية بتشريح الجسم البشرى ولو بشكل تقريبي . أما أمراض النساء والولادة فقد كانت محل اهتمام الأطباء الذين وصفوا العديد من الأمراض والعيوب الخلقية وطرق علاجها . ومن الأمراض المنتشرة فى مصر القديمة رمد العيون وعض الشعابين ولدغ المقارب والبعوض والجروح بمختلف أنواعها وإضطرابات الهضم ومختلف أنواع الحميات . ونعرف أن الأطباء بمختلف ألقابهم ووظائفهم يؤهلون منذ الدولة القديمة تأهيلاً شديداً علمياً أو سحرياً ودينياً فى دور الحياة الملحقه بالمعابد . وهم يعالجون أعراض المرض وآلامه بالأدوية الشراب أو المراهم أو التدليك إلخ .. كما يعالجون مسببات المرض - ربما يكون المريض أغضب أحد الآلهة : فيشمل العلاج قرارة الرقى أو حمل تمويذة . ولكل موقف تمويذة مناسبة أو تقديم التذوق إلى الإله الغاضب .

### ٣ - الملابس والأزياء

وللتعرف على مختلف أنواع أزياء المصريين تتوفر لنا مجموعات عديدة من المستندات وهى الملابس ذاتها ، إذا ما حفظها لنا الزمن من البلى . ثم القوائم الخاصة بمراقبة غسل الملابس وتوزيعها . وما ذكر عنها فى العقود . وأخيراً المناظر المختلفة . وإذا اعتبرنا مسبقاً أن هذه المصادر الثلاثة متكاملة إلا أنه يبدو أن تتفق معاً فى واقع الأمر . فلم نتعرف سوى على القليل من أسماء الأقمشة والملابس بما لا يدع مجالاً للشك . إن الملابس الكتانية الناعمة ذات الثنايا والشفافة التى يرتديها الرجال والنساء على حد سواء ، فى تائق ، والتى نشاهدها فى رسومات ونقوش وقنايل بعض المصور يصعب مقارنتها بالشواهد الأخرى غير الدقيقة التى وصلت إلينا . أو إيجاد أى وجه شبه بينهما . واختلف موقف المصريين من العرى عن موقف أهل الحضارات الحديثة . فالعرى من سمات الطفولة فى مصر القديمة . أما البالغون ، فالرجل عارى الصدر والكفين ويرتدى نقبة قصيرة إذا زاول أعمالاً يدوية ، أو نقبة طويلة فى الحالات الأخرى . أما المرأة فترتدى سروالاً فضفاضاً ينتهى فى أعلاه بحمالتين عريضتين تتركان التهدين عاريين . وغالباً ما ترتدى ملابس رقيقة شفافة تبرز محاسن جسدها ومفاتهنه . أما الخادومات فيظهرن أحياناً وقد ارتدين ساتر العورة فقط . ويرتدى الرجال نقبة صغيرة مثلثة كساب داخلية . ولم يحفظ لنا الزمن ملابس داخلية نسائية .

كان عمال الجبانة شأنهم شأن غيرهم من فئات الموظفين يتسلمون ملابس خاصة بالعمل : السروال ( مسس ) ، والنقبة القصيرة " روجو " أما الرؤساء فيرتدون نقبة طويلة أو شالاً كبيراً " داير " ، وفى بلاط سيتى الأول فى مدينة منف كان النوعان الأول والثانى من هذه الملابس من نصيب الجوارى . ويظهر النوع الثالث فى خزائن ملابس السيدات .



وإذا عرفنا أن الأزياء تتكون عادة من قطعة نسيج من الكتان ذات مقاسات أو أطوال متباينة يلتحفها الشخص حسب مقتضى الحال لأدركنا السبب الذي جعل المصري لا يفرق بين الزي الرجالي والزي النسائي . كما يبدو أن مصر لم تعرف في حقيقة الأمر سوى زي واحد هو السروال ، ولكنه موزع على عدة طرز ، كما يتضح من المناظر : السروال الطويل أو القصير ، والفضفاض أو المحبوك . وتنقسم العينات التي اكتشفت إلى مجموعتين : فسراويل المجموعة الأولى تتكون من قطعة واحدة بدون أكمام وياقتها بسيطة وتحاك من الجانبيين . أما المجموعة الثانية فتتكون من ثياب حقيقية شبيهة بشيانا . وهي تتألف من قطعة نسيج مستطيلة الشكل وأكمام ومفتوحة عند الياقة . ويبدو أن المعطف قد تم تصميده بنفس الطريقة . كما شملت مجموعة ثياب توت عنخ آمون على عدة قفافيز .

أما ملابس الأفراد فقد تحلت أحيانا ببعض الثياب أو الخيوط المبرومة . وتم اكتشاف بعض الثياب على هيئة شياك وقد صنعت وفقاً لأسلوب الكرمية . وهي تذكرنا بزي مجدقات سفرو . ولكن أعلى الأزياء وأثمنها اكتشفت في القاهر الملكية . وقد تحلت بزخارف نسجت بخيوط ملونه أو مطرزة أو بإضافة قطع النسيج . وأطراف الثوب مكففة أو ذات هدأب أو بها أشرطة ذات لون واحد أو متعددة الألوان . كما تم اكتشاف نسيج من الكتان يعلوه ما يشبه الوبر تقليداً للفراء . ولكننا لم نهتد إلى الفرض منه . وكذلك رداء مرسوم يشبه جلد الفهد الذي كان يرتديه الكاهن " سيم " . وهذا الرسم يرجع إلى العصر اليوناني الروماني . وقد وصلتنا بقايا ملابس استطاع الدهر أن يحفظها بفضل مناخ مصر الفريد . وهي موزعة على امتداد تاريخ مصر بدءاً من عصر الأسرات الأولى . وعدنا بعض الاستثناءات النادرة فإن الملابس التي قاومت عوادي الدهر هي التي صنعت من أقوى الأقمشة وبالتالي الحشن منها .

واستناداً إلى ذلك فهي تقدم لنا صورة غير كاملة عن الزي المصرى .  
وتبدو لنا أن طرز الأزياء محدودة لأول وهلة . ولكن إذا أخذنا فى  
اعتبارنا ما أدخل عليها من تعديلات شتى بفضل استخدام الأنسجة  
المختلفة والبراعة فى تشكيل الثنايا ، لأدركنا مدى الجانب الإبداعى  
لذوق تصميم الزي المصرى ولحسن الحظ فإن التصاوير تقوم بسدّ النقص  
فى المعلومات المستمدة من البقايا المكتشفة . صحيح أنها تؤكد ثبات  
الزي المصرى . إلا أنها تكشف عن نماذج خاصة للملابس الأعياد واهتمام  
المصريين بالأقمشة المزركشة المستوردة من الخارج مع بداية الدولة  
الوسطى . كما تبرز الاختلافات بين زي ملابس السيدات والخدمات ،  
هذا غير الملابس المميزة المخصصة للآلهة وبعض الكهنة . أما النعال فقد  
صنعت جميعاً طبقاً لنموذج موحد . فطرف النعل الأمامى معقوف مع  
وجود لسان بين إبهام القدم والأصبع الثانى . وقد صنعت من الألياف  
النباتية المجدولة أو من الجلد الطبيعى المصبوغ باللون الأبيض ما عدا  
نعال توت عنق آمون المصنوعة من الذهب وغير الملائمة للمشى .



شكل ١١ : شعر مستعار لصاحبة السيدة " مريت " من دير المدينة . المتحف المصري  
في مدينة تورينو .

## ٤ - التزيين والحلى

يتضح لنا أن تزيين تماثيل الملك المتوفى أو الإله ، وتزيين الكهنة قبل ولوجهم إلى أكثر قطاعات المعبد قدسية هو الأسلوب النموذجي الذي يتبعه المصري للعناية ببدنه . والتزيين يشمل الإغتسال وتطهير الفم بالنظرون وإزالة الشعر وتزعه وتدليك البشرة بالزيوت والأدهان المعطرة وإطلاق البخور . فقد كان المصري يعطى اهتماماً كبيراً لمظهره العام . ودليلنا على ذلك جمهور حلاقى الذقن والشعر والعاملين في تزيين الأيدي والأقدام والمشرفات على حسن الهندام الذين انخرطوا في سلك خدم وخدمات صاحب الجلالة أو رجال البلاط . فإهمال الشخص لمظهره يجعله عرضة لإحتقار الآخرين . كما يتضح لنا من المناظر الأساليب العملية التي تمارس يومياً للحفاظ على الصحة والشباب أو الجمال . صحيح أنها لا تقدم لنا مشاهد تزيين حقيقية إلا أنها تكشف عن مدى ما بلغت من تطور بفضل استخدام أدوات الزينة المكتشفة في المقابر أو المساكن . والوصفات التي توصى بها المراجع الطبية . فهذه وصلة تجعل رائحة الفم طيبة . وتلك لتجميل الوجه فتزيل من البشرة الشمس والبقع الحمراء غير المستحبة . ووصفات أخرى لعلاج الصلع أو لإعادة الشباب . وتنتج في ذلك أساليب متعددة بدءاً بالتبخير المعطر بخشب البخور ورائحة شجر البطم إلى إعداد الأدهان باستخدام العسل أو النظرون الأحمر والملح ويمكن إضافة مسحوق الألبستر أو باستخدام الحلبة المغلية .

أما مساحيق التجميل كما هي واضحة في الرسومات فتوزع على مجموعتين : مجموعة تبرز جمال العين وتعتمد على الكحل والملاخيت\* والجاليتا . والمجموعة الثانية تهدف إلى العناية ببشرة الوجه لتضفي عليها حيوية ونضارة . ويتم صنع المواد المستخدمة في أجران خاصة ثم تخلط بزيوت أو أدهان وتحفظ في أوعية صغيرة من الحجر أو الزجاج .

\* وهو الكحل الأخضر ( التريجم )

وعند الحاجة تؤخذ الكمية اللازمة للدهان بملعقة صغيرة منقوشة . ومن أدوات حفظ الكحل قنينة توضع فى جراب ومعها مرود . كما أن آلة الحلاقة والملقط تعتبر من مستلزمات زينة النساء والرجال على حد سواء . ونستمد معرفتنا عن العطور من النصوص المنقوشة فى المعامل المقدسة داخل المعابد أكثر مما نعتمد على ما يذكر فى النصوص الدينية رغم كل ما عثر المنتقبون عليه من قوارير فى التجهيزات الجنائزية المكتشفة . ويعتبر الشعر عنصراً أساسياً للتزيين فاهتم به الرجال أسوة بالنساء وأعطوه عناية فائقة . والشاهد على ذلك كثرة ما خلفه المصريون من أمشاط وأدوات تجميد الشعر ودبابيس والشعر المستعار على وجه التحديد . وفى واقع الحال فقد اعتاد الرجل أن يكون حليق الشعر أو قصير الشعر أو يضع شعراً طويلاً مستعاراً . وقد وصلتنا أعداد من الشعور المستعارة ظلت إلى يومنا هذا فى حالة جيدة من الحفظ . وهى مصنوعة من شعر طبيعى مجدول بخيوط من الصوف . وعندما يرتدى المصرى ملابس ويتزين فهو لا ينسى لكى يكتمل حسن هندامه أن يستعين بحلى من الزهور وأخرى نفيسة أو غير نفيسة ، مثل أكاليل اللوتس والعقود والصدریات والحلقان والخواتم والأساور إلخ .. ومن خلال المناظر اكتشفنا كيف أن المصرى كان يأخذ انطباعاً حسناً عن حسن هندامه وذلك من نظرات خادمته أو المقربين إليه أو من الإنعكاسات الباهتة للمرايا البرونزية المصقولة صقلاً جيداً .

## الخاتمة

استطاع المصري القديم في مختلف عصور تاريخه الطويل أن يكون فكرة واضحة عن بلده وحكومة العصر الذي يعيش فيه وعاداته والعقلية السائدة فيه . فكان في احكامه متفانلاً تارة أو قانطاً متشائماً تارة أخرى . وقد عبر في أفكاره من خلال بعض الكتابات ذات المستوى الأخلاقي الرفيع اتسمت بفكر ثاقب جعلها قاب قوسين من الفكر الفلسفي . إن قصص خلق العالم التي تقرأها على جدران المعابد أو على جدران العنابر المختلفة ، هي أفكار لاهوتية تحاول تجميع وتفسير الظواهر العلمية أو الأفكار المجردة بالاعتماد على الأساليب المادية والأساطير وفقه اللغة . إن ما تنصح به أحكام الأخلاق الحميدة يتفق ومعظم ما توصلنا إليه من ملاحظات حول العادات والسلوكيات التي تعتبر عادلة أو ظالمة حيال الرؤساء والزوجة والزملاء والجيران والمرؤوسين والقراء والمنحرفين والمشاعيين والأجانب . ويرجع " حوار اليانيس من الحياة مع روحه " إلى الفترة الانتقالية الأولى . إنها مواجهة بين إنسان متشائم وروحه الخالدة التي تهدده بأن تهجره إذا لم يستفد من حياته .

وربما كان هذا الحوار أقدم بحث داخل ذات الإنسان في تاريخ البشرية . وما نتحدث عنه ليس مؤلفاً منعزلاً إنما هو دراسات تمثل تياراً فكرياً معاصراً للإنتهيار العام الذي أصاب البلاد . وفيما بعد وفي عصرى الدولة الوسطى والدولة الحديثة ظهر مؤلف " أنشودة العازف على الجثك " وهو من أقدم الأعمال التي تمتدح الموت وحياة العالم الآخر بل ويصل الأمر إلى حد الشك في وجود العالم الآخر بمهداً الطريق بذلك أمام الدعوة إلى الإنغماس في ملذات الحياة . أما أبيات الشعر التي تتعرض لزيغ حياة الإنسان أياً كان وضعه الاجتماعى فتكشف عن أن أعمال الإنسان مهما طال بقاؤها فهي فانية . وهذه الأبيات خير تعبير عن فكر بلغ مرحلة النضوج .

تقول الابيات :

" ( .. ) وتزول أجيال وتروح ،  
وتجىء أجيال وتقوم ، منذ أيام الجلود ،  
وهم آلهة الزمن الماضى ،  
الراقدون فى أهراماتهم .

\*\*\*

كل النبلاء والأبرار ،  
المسجونون فى مقابرهم .  
لقد أقاموا الديار فى الماضى ، وقد عفاها الزمن .  
ما الذى حل بهم ؟

\*\*\*

استمعت إلى كلمات  
إيمحوتب وجور جد  
تروى فى إطار الحكم  
إنها تحيى على مر الزمان .

\*\*\*

ماذا جرى لموطن معيشتهم ؟  
لقد أنهارت الجدران ،  
واختفت الأماكن ،

وكأنهم لم يولدوا قط ! ( .. )  
( نقلاً عن النص الفرنسى لترجمة

( P. Posener - Krieger op. Cit. P. 75 )

## مراجع الكتاب

لم تسمح الحدود التي قلمها طبيعة سلسلة JE - QUE SAIS التي نشرت هذا الكتاب بالإشارة إلى العديد من المقالات المتخصصة التي أوجت بهذه الدراسة التجميعية السريعة ، أو ذكر جميع المؤلفات التي تم الرجوع إليها عند دراسة نقطة معينها . بيد أنه يتعين إرشاد القارئ المتعطش إلى مزيد من المعرفة ، إلى أمهات الكتب التي عالجت ببيان المجتمع المصري وإلى مجموعات النصوص المترجمة ودراسات فن التصوير واضعين أمام القارئ الوثائق نفسها :

### \* حول المؤسسات والمجتمع :

O. D. Beriliev. La classe laborieuse en Egypte au Moyen Empire ( en russe ) , Moscou . 1972 , et les relations sociales en Egypte au Moyen Empire ( en russe ) , Moscou . 1978 ; J. Cerny , A Community of Workmen at Thebes in the Ramesside Period. Le Caire , 1973 , et Valley of the Kings . Le Caire , 1973 ; W. Helck . Untersuchungen zu den Beamtentiteln des Agyptischen alten Reiches , Gluckstadt - Hamburg , 1954 , et Zur Wervaltung des Mittleren und Neuen Reichs . Leyde . 1958 ; G. Ogden , Two aspects of the Royal Palace in the Egyptian Old Kingdom . Colombia , 1982 ; P. Posener - Krieger , Les archives du temple fun`eraire de Neferirkare<sup>^</sup> - Karkai, Le Caire , 1976 : et D. Valbelle , " Les ouvriers



de la Tombe " , Deir el Me`dineh a` l` e`poque rames-  
side , Le Caire , 1985 .

**\* حول الإنتاج وأسعاره وصناعاته واستخداماته :**

W. Helck Materialien zur Wirtschaftshgeschichte  
des Neuen Reiches , Wiesbaden , 1961 - 1969 ; J. J.  
Janssen , Commodity Prices from the Ramessid Peri-  
od , Leyde, 1975 . A . Lucas et J. R. Harris , Ancient  
Egyptian Materials and Industries , 4 ed., Londres,  
1962 .

**\* حول الأدب بمعنى الكلمة :**

G. Lefebvre , Romans et Contes e`gyptiens de l`  
e`poque pharaonique Paris 1949 ; M. Lichtheim. An-  
cient Egyptian Litterature , Los Angeles . 1975 -  
180 , et S. Schott, Les chants d` amour de l` Egypte  
ancienne , trad P. Posener - Krieger , Paris , 1956 .

**\* حول الأدب التاريخي أو السياسي :**

J. H. Breasted Ancient Records of Egypt, New  
York , 1906 ; R. A. Caminos, Late - Egyptian Mis-  
cellanies , Oxford , 1954 ; A. H. Gradiner , Ancient  
Egyptian Onomastica , Oxford, 1947 : G. Posener ,  
Litt`erature et politique dans L` Egypte de la XIIe dy-  
nastie, Paris , 1969 : et A. Roccati, La litt`erature his-

torique sous l' Ancien Empire e`gyptien , Paris , 1982 .

\* حول فن التصوير :

P. Montet. Les sc`enes de la vie priv`ee dans les tombeaux `egyptiens de l' Ancien Empire , Strasbourg , 1925 ; et J. Vandier , Manuel d'Arch`e`ologie `egyptienne , t. IV n` VI, Paris, 1964 - 1978.

\* وبصفة عامة وكمدخل اولى وزمهدى ننصح بالرجوع الى

:

G. Posener, S. Sauneron et J. Yoyotte, Dictionnaire de la civilisation `egyptienne , Paris, 1970 .

\* وللوقوف على الراى الاخير فى موضوع بعينه يمكن الرجوع الى :

Lexikon der Agyptologie , Wiesbaden , 1975 - 1986 .

## المحتويات

ص	ع
	٥
	١١
	٤٥
	٨١
	١٠٥
	١٢٩
	١٤٩



صدر عن دار الفكر للدراسات والنشر  
سلسلة " كتاب الفكر "

المؤلف	العنوان
	١ - الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة ( طبعة ثالثة ) .
د. فؤاد زكريا	٢ - جماعة النهضة القومية .
رؤوف عباس	٣ - محمد مندور وتنظير النقد العربي .
محمد براده	٤ - تحديث العقل السياسي الإسلامي
د. محمد رضا محرم	٥ - الواقع الفلسطيني : الماضي والحاضر والمستقبل .
د. ادوار سعيد	٦ - الفلسطينيون عبر الخط الأخضر
د. ابراهيم أبو لغد	٧ - بين الأدب والتاريخ .
الكسندر شولس	٨ - مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي
د. قاسم عبده قاسم	٩ - المعلم يعقوب بين الأسطورة والحقيقة .
لطفى الخولى	١٠ - الحقيقة الغائبة ( الطبعة الثالثة ) .
د. حسين الصاوى	١١ - نافذة على مسرح الغرب المعاصر
فرج عبده	١٢ - أوزيريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة .
فاروق عبد القادر	١٣ - مصداقية الردع النووي الإسرائيلي
د. سيد القمنى	
د. نافع الحسن	

صدر عن دار الفكر للدراسات والنشر  
إصدارات تاريخية واجتماعية وفنية

المؤلف	العنوان
د. طاهر عبد الحكيم	١ - الشخصية الوطنية المصرية .
إشراف وإعداد	٢ - مصر وعالم البحر المتوسط
د. رؤوف عباس	( ١٣ ) بحثاً مختارة من سمينار جامعة القاهرة ) .
د. على السيد على	٣ - القدس في العصر المملوكي .
د. قاسم عبده الفتاح	٤ - اليهود في مصر من الفتح العربي إلى الغزو العثماني .
د. عايدة سليمة	٥ - مصر والقضية الفلسطينية .
د. فتحى عبد الفتاح	٦ - الناصرية وتجربة الثورة من أعلى ( المسألة الزراعية ) .
ميخائيل باخثين	٧ - الخطاب الروائي .
ترجمة د. محمد برادة	٨ - أمريكا وصناعة الجوع .
فرانسيس مورلابيه	
جوزيف كوليتز ، ديفيد	
كيلى/ترجمة د. حسسن	
أبو بكر	
شلومو فرانكل	٩ - طواغيت المال والحكم في إسرائيل
وشمشون بيخلر	( مترجمة عن العبرية ) .

صدر عن دار الفكر للدراسات والنشر  
إصدارات رجبية

المؤلف	العنوان
سيد حجاب	١ - الأعمال الكاملة ( شعر ) .
عائشة أرناؤوط	٢ - الوطن المحرم ( شعر ) .
محسن الخطاط	٣ - حكايات بهية ( شعر ) .
حلمى سالم	٤ - سيرة بيروت ( شعر ) .
خيرى شلبي	٥ - الرتد ( رباعية قصصية ) .
ابراهيم عبد المجيد	٦ - بيت الياسمين ( رواية ) .
سلوى بكر	٧ - مقام عطية ( رواية ومجموعة قصص قصيرة ) .
محمد المنسى فتنديل	٨ - من قتل مريم الصافي ( مجموعة قصصية ) .
عبد الحميد قاسم	٩ - الهجرة إلى غير المؤلف .
عز الدين نجيب	١٠ - أغنية الدمية ( مجموعة قصص ) .
محمد المخزنجي	١١ - الموت يضحك .
د. محمد حجي	١٢ - مذكرات جندي مصرى فى جبهة قناة السويس .
ميخائيل رومان	١٣ - إيزيس حبيبتي ( مسرحية ) .
د. ابراهيم حمادة	١٤ - رطل اللحم ( مسرحية ) .





رقم الإيداع ٥٣٣١ / ١٩٨٩





## الناس وأحياءة في مصر القديمة

من أحدث ما كتب في هذا الموضوع : وتصدر الترجمة العربية بعد مرور سنة على نشر الكتاب بالفرنسية في باريس في يونيو ١٩٨٨ .

وهو كتاب يستفيد منه المتخصص ويشفي غليل كل مثقف شغوف بالإلام بحضارة مصر القديمة .

مؤلفة هذا الكتاب عالمة الآثار الفرنسية الدكتورسة " دومنيك قاليل " ، أستاذ الآثار والتاريخ المصري بجامعة " ليل " بفرنسا . وترأس حالياً بعثة تنقيب في شمال سيناء . عاشت في مصر ودحا من الزمن وباشرت أهم حفائرها في دير المدينة بالير الغربي من مدينة الأقصر .

وهي حين تحدثنا في كتابها عن المصريين القدماء تحاول بعث الحياة في عالم العلاقات بين البشر والطبيعة ، والروابط التي جمعت بين البشر أنفسهم وكيف تعاملوا مع المؤسسات التي نظمت حياة مجتمعهم . وقد اعتمدت في ذلك منهجاً علمياً استند إلى الحقائق التي تقدمها أحدث الوثائق التي وصلتنا من مصر القديمة ، ولا سيما وثائق عمال دير المدينة الذين انجزوا أروع الأعمال التي نشاهدها اليوم في مقابر الملوك والأمراء . والنساء بالير الغربي لمدينة الأقصر .

إن مصر القديمة التي يقدمها الكتاب ليست تصنيفاً جافاً للملوك مصر وقصورها ومقابرها وأثارها ... إنها مصر الشعب سواء في حياته العامة أو في حياته الخاصة ، في عمله وفي مسكنه وفي أوقات فراغه ... ماذا كان يأكل ويلبس ، والأمراض التي أصاب والعلاج الذي توفر له . كيف مارس شعائر وطقوس الديانة الكامن بها . ماذا يبيع وماذا يشتري وأسعار السلع المتداوله . كيف واجه الحياة وأحبها ؟ ، وواجه الموت وحاول قهره . كما تعامل مع الخير والشر في الطبيعة والمجتمع والعالم الآخر . كما كان المبدع لأول حضارة اشرفت على البشرية ، وأسس أكبر وأعز وحدة سياسية منذ ٥٠٠٠ سنة مضت ... عاشت ومازالت تعيش روح مصر .

Bibliotheca Alexandrina



0374059



To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)